

الشيطانة

بقلم : ستيفن كينج
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلـف

يعترف (ستيفن كينج) الكاتب الأمريكى العظيم بأنه كان طفلًا جبانًا ! ولأن الجبناء أوسع خيالًا من سواهم ؛ فقد احتفظ هو بالرؤى التى كان يخشاها فى طفولته وترجمها إلى أعمال أدبية معقدة يمتزج فيها الرعب بالسيكولوجى وعلوم ما وراء الطبيعة والأسلوب الأدبى المحكم ، ليكون (ستيفن كينج) بذلك أشهر وأنجح كتّاب الرعب المعاصرين .. وليحقق أعلى مبيعات فى كل كتاب .. وليضمن تحويل كل قصة من قصصه إلى فيلم سينمائى يحقق إيرادات هائلة .

هل تذكرون رواية (كارى) الكابوسية عن المراهقة التى وجدت لديها قوى نفسية هائلة ، قادرة على تدمير كل منافساتها اللواتى داعبنها مداعبة قاسية ؟ لقد عُرض الفيلم فى (مصر) وأحدث ضجة .

من رواياته الشهيرة أيضًا (تألق) التى تروى قصة جنون كاتب يحيا فى مكان منعزل مع زوجته وابنه .. وقد حوّل المخرج (ستانلى كوبريك) هذه الرواية إلى كابوس حقيقى فى فيلم بنفس الاسم .

فى روايته (مقبرة الحيوانات الأليفة) ينجح (كينج) فى تحويل شىء برىء ورقيق إلى مأساة .. أما فى ملحمته (الشىء) فهو يناقش عودة مخاوف الطفولة الكامنة إلى نفوس مجموعة من الأصدقاء كبروا وتفرقوا .. لكنهم ظلوا يخشون (الشىء) ويرتقبون عودته .

وفى روايته (الرجل الراكض) يتنبأ (كينج) بمستقبل دام تكون حياة الانسان فيه مجرد لعبة تليفزيونية يتم الرهان عليها .

ثم لاتنسى كذلك تُحفه (كر[illegible]) .. (حشد سالم) .. (لعبة جيرالد) وكلها تتميز بذلك الجو الكابوسى النفسانى المتقدم جدًا أدبيًا .

إن (ستيفن كينج) هو كاتب راق على إلمام كبير بالأدب الإنسانى، وهو يحول قصص الرعب التى يكتبها إلى أعمال ثرية جدًا فى محتواها الأدبى .

وسنسعد القراء كثيرًا بتقديم هذه الرواية لهم، واسمها الأصلى هو (ميزرى) - يمكن ترجمتها (تعاسة) لكنه اسم البطلة كما سنعرف بعد قليل - وقد كتبها عام ١٩٨٧، والترجمة التالية مليئة بالتصرف لأن صفحات القصة الأصلية تربو على ثلاثمائة وستين صفحة، كما أننا اضطررنا لحذف الكثير مما يتنافى مع رسالة روايات عالمية للجيب تجاه الشباب العربى .

د . أحمد خالد توفيق

١ ـ الحــادث ..

لم يكن هناك سوى الألم وأصوات الغناء المنبعث من كاسيت السيارة .. هذه الأصوات كانت تخبو تاركةً فراغًا سرمديًا ومعها يزول الألم .. ثم كان كل شىء يعود مرة أخرى .. كان يتمنى الموت لكنه لم يدرك قط أنه تمناه .. الظلام الدامس البكر .. الصخرة التى كشف عنها الجزر فى شاطئ (ريفير) .. كانت أمه تأخذه إلى هناك .. وكانت الصخرة البيضاء تتغطى بالأمواج كلما تعالى المدّ .. وكان يصرّ على الجلوس هناك يراقبها .. ثم يأتى الجزر .. وتتكشف الصخرة ببطء .. ببطء كأنياب وحش أسطورى يغفو تحت الأعماق ... كانت الأم تجمع حاجيات (بولى) .. نعم !.. هذا هو اسمى .. (بولى) .. كنت قد نسيته ..

وهنا ـ بين أستار الظلام ـ أدرك أنه لا يستطيع أن يتنفس .. أدرك ذلك فى رضا لأنه سئم اللعبة ولم يعد يتحمل أكثر ..

وهنا شعر بشفتين جافتين تنطبقان على شفتيه .. وشعر بالهواء يندفع فى فيه .. حنجرته .. رئتيه .. وشمّ فى اشمئزاز رائحةَ الأنفاس مختلطة بالشيكولاتة وكعك الفانيليا ... وسمع الصوت يصرخ :

- « تنفس يا (بول) .. تنفس .. عليك اللعنة ! » .

حاول أن يقاوم .. لكن الهواء الملوث بالشيكولاتة عاد يندفع عبر رئتيه .. أرجوك .. لا ... لا تدخلى هذا الشئ البشع فى صدرى مرة أخرى ..

- « تنفس .. عليك اللعنة ! » .

فى هذه المرة سعل بقوة .. وحاول أن يجعل صدره يتحرك قبل أن تعيد الكرة .. سعل .. وفى هذه المرة استطاع أن يأخذ نفسًا عميقًا .. وبدأ يتنفس بعمق محاولًا أن يغسل صدره من عفن أنفاسها ..

وعاد ينزلق إلى عالم الغيبوبة .

هذه المرة اقترب كثيرًا جدًّا من الصخرة .. وأدرك دون جهد أنها تلخص حالة آلامه .. فحين ينحسر الجزر عنها يتزايد ألمه .. وحين يرتفع المد وتغطيها المياه يتلاشى ألمه تمامًا .

وحين استطاع أخيرًا أن يفتح عينيه .. وأن يفتح شفتيه برغم اللعاب اللزج الملتصق بهما ؛ وحين رأى المرأة جالسة جوار فراشه تقرأ كتابا ، كان أول ما لاحظه هو أن مؤلف الكتاب يُدعى (بول شيلدون) .. بصعوبة تذكر أن هذا هو اسمه ..

أما ثانى شىء فعله فهو أن سأل السؤال التقليدى :

ـ « أين أنا ؟ » .

قالت فى رزانة :

ـ « أنت فى (سايدوندر) بـ (كولورادو) .. اسمى (آنى ويلكز) .. وأنا .. » .

ـ « أعرف .. أنت المعجبة الأولى بكتاباتى ... » .

ابتسمت .. وقالت :

ـ « بالفعل أنا كذلك ! » .

★ ★ ★

من جديد يعود الظلام .. ثم الألم .. والغشاوة ...

لا يذكر عن الألم سوى أنه كان أحيانًا يتلاشى .. ولا يذكر عنها سوى رائحة أنفاسها .. وأصابعها تدس شيئًا ما فى فمه على فترات منتظمة .. شيئًا له شكل كبسولات الدواء ، ولما لم يكن هناك ماء .. كانت الكبسولة تذوب فى فمه تاركة مرارة لا توصف .. كان يودّ لو بصقها لكنه كان يفهم أن هذا المذاق المرير هو الذى سيجعل المدّ يغمر الصخرة فيزول الألم ..

كان اسمه هو (بول شيلدون) .. الكاتب نصف الشهير .. تزوج وطلق مرتين .. يدخن بإفراط .. وقد نجا من حادث مروع ليقع ـ كما عرف فيما بعد ـ فى مصيدة مرعبة ..

★ ★ ★

كانت تذكره بصنم إفريقى فى إحدى قصص (رايدار هجارد) .. مثل (هى) أو (كنوز الملك سليمان) ... قامتها

القارعة وجسدها الضخم تحت السويتر الصوفى الذى ترتديه دائمًا ..

ثم ذلك الشعور بـ (الصلادة) الذى تمنحه إياه .. كأنها مصمتة تمامًا بلا أوعية دموية ولا أحشاء داخلية ، وكأن عينيها مرسومتان على الصخرة التى تمثل وجهها ..

مثل الأصنام كانت تمنح النفس شعورًا بعدم الراحة .. بل والذعر .. إلا أنها ـ على خلاف الأصنام ـ كانت تمدّه بالكبسولات التى تنسيه الألم .. وعلى فترات منتظمة كل ست ساعات .. وعندئذ يبدأ المدّ .. وترتفع المياه .. وتختفى الصخرة ومعها الألم ..

وعندما استطاع أن يفهم ما يدور حوله ، أدرك أنها تعطيه مسكنًا قويًا اسمه (نوفريل)(★) .. ومن الواضح أنها تملك منه مخزونًا هائلًا .. وأدرك ـ فى هلع ـ أنه صار مدمنًا تمامًا لهذا المسكن ..

عرف كذلك أن هذا الدواء يحدث هبوطًا حادًا فى التنفس .. ولعل هذا هو السبب فى توقف تنفسه فى تلك الليلة .. لقد أعطته جرعة غير محسوبة كادت تودى بحياته ..

أما آخر ما عرفه فهو أن (آنى ويلكز) مجنونة .. مجنونة إلى حدّ خطير ..



(★) دواء وهمى .

فيما بعد قالت له إنها قرأت رواياته مرارًا عديدة، إلا أنها قرأت قصصه التى جعل بطلتها (ميزرى) مرات تفوق الحصر .. وأنها تمنت لو أنه يكتب أسرع من ذلك .. وأنها لم تصدق قط أن ضحية حادث السيارة الذى أنقذته هو كاتبها الأثير (بول شيلدون) حتى بعد أن رأت بطاقته الشخصية ..

ـ « أ .. بالمناسبة .. أين محفظتى ؟ » .

ـ « وضعتها لك فى مكان آمن .. » قالتها وقد بدأت نذر عاصفة تلوح على وجهها مما أثار هلعه « هل حسبتنى سرقت منها شيئًا ؟ » .

ـ « كلاّ بالطبع .. إنه ...... » .

إنها لن تفهم أبدًا أن حياتك كلها داخل هذه المحفظة .. حياتك خارج هذه الغرفة .. خارج مدينة الألم .. خارج الزمن الأبدى المتمدد كقطعة من اللبان ينفخها طفل أخرق ..، لهذا قال لها :

ـ «كان أبى ينصحنى بألا أفارق محفظتى ولقد صارت طبيعة ثانية عندى .. لو كنت قد ضايقتك أستميحك عذرًا ..» .

قالها وشعر برضا حين وجد العاصفة تتلاشى من قسماتها .. حاول أن يحرك قدميه لكن الألم كان شنيعًا ..

- « لا تحاول » قالتها فى رقة « لو حاولت إرغام قدميك على الكلام فلن تسكتا أبدًا يا (بول) .. وأنا لن أعطيك مسكنات لمدة ساعتين .. » .

لماذا أنا لست فى المستشفى ؟.. كان يتمنى لو سأل هذا السؤال ثم رأى أن الوقت ليس مناسبًا لهذا ..

- « كم تبعد هذه المزرعة عن المدينة ؟ » .

- « تبعد مسافة ... » .

قالتها فى غموض .. وارتسمت على وجهها تعبير أثار فزعه .. تعبير ينم عن لا شىء .. عن الخواء .. لقد رأى منذ أعوام ذات التعبير فى مصحة أمراض عقلية فماذا كان اسم المرض ؟.. (كاتاتونيا) .. نعم .. هو كذلك .. وها هى ذى تعود إلى عالم الواقع .. كأن الحرارة تعود لها ببطء ..

- « كنت ذاهبة للمدينة بسيارتى العتيقة لشراء طعام للماشية من متجر (ويلسون) برغم نذر العاصفة فى المذياع .. كنت أريد أيضًا شراء آخر قصصك (طفل ميزرى) لكنى لم أجدها بعد .. » .

- « هل لديك الكثير من الماشية ؟ » .

سألها هذا السؤال لأن وجود الكثير من الماشية يعنى أن هناك من يساعدها ، كرجل أجير على الأقل .. كان يبحث عن آخرين .. وهى لم تكن ترتدى خاتم زواج ..

ـ « ليس الكثير .. ست دجاجات بياضة .. بقرتان .. و (ميزرى) ! » .

ولما رأت دهشته ضحكت وأصدرت صوت الخنزير :

ـ « ووينك !.. ووينك !.. خنزيرة طبعًا ..!.. إنها ودود لطيفة .. » .

اتسعت عيناه ذعرًا .. لكنها لم تلحظ شيئًا .. وأردفت :

ـ « وبعد مسيرة خمسة أميال بدأ الجليد يتساقط .. وفجأة لمحت سيارتك مقلوبة جوار الطريق .. فتوقفت وتزلت لأرى ما يحدث .. كانت أنوارك مطفأة .. وسمعتك تئن ... » .

ونظرت له فى حنان أمومى مزعج ..

ولأول مرة بدأت الفكرة تتضح فى ذهن (بول).. إننى لفى مأزق حقيقى .. هذه المرأة ليست على ما يُرام ..!

★ ★ ★

أخيرًا استعاد صورته فى فندق (بول برادو) إذا أنهى قصته الجديدة ، التى ـ ولله الحمد ـ لم تكن بطلتها هى (ميزرى كاستين) .. لقد سئم هذه الشخصية حتى النهاية .. ولكم أسعده أن يقتلها فى آخر خمس صفحات من قصة (طفل ميزرى) وغـرق بعدهـا فى ضحك هستيرى ..

وحين كتب كلمة النهاية .. أخذ يجوب الغرفة مقهقهًا :
أخيرًا أنا حرّ !.. أنا حرّ !.. لقد ماتت اللعينة (ميزرى) !..
وبعدها كتب قصته الجديدة المعاصرة (سيارت سريعة) .. وجعل بطلها لصّ سيارات .. وحين انتهى منها شعر بالرضا ..

- « لعلك قد ربحت جائزة كتاب العام القادم يا صديقى..! » .

كذا قال لنفسه .. وطلب خدم الغرف كى يحضروا له عشاء نسمًا .. وصمم أن يحتفل بهذه الأمسية قبل أن يعود إلى (نيويورك) .. سيأخذ السيارة الـ (كامارو) ويتجه غربًا .. لأين ؟.. لا يدرى .. لا تأخذ ثيابًا ، فقط خذ نصّ قصتك (سيارات سريعة) معك وانطلق إلى (لاس فيجاس) أو (رينو) ..

العاصفة تتجمع .. الظلام يسود .. عجلات السيارة تنزلق .. شريط الموسيقا يصمّ أذنيك .. شىء من التوتر يتسرب إلى روحك .. لكنك سعيد .. سعيد .. لهذا حسبت أنك قادر على اجتياز العاصفة .. كان يجب أن تتريث فى (كانا) طالبًا المأوى .. لكنك صممت على الاستمرار .. وبأقصى سرعة ..

فقط تذكر أنك كنت تنحنى للأمام باحثًا عن لفافة تبغ فى علبة السجائر .. ثم شعرت أن الكون ينقلب رأسًا على عقب ..

ـ « كنت تصرخ يا (بول) .. ولهذا علمت أنك ستنجو .. المحتضرون لايصرخون أبدًا .. كنت مرتفع الحرارة لهذا أعطيتك مضادًا حيويًا ومسكنًا .. وحين نمت بدأت تستعيد قواك .. » .

ـ « لقد أصيبت قدماى .. » .

ـ « بالطبع .. وسأعطيك مسكنًا بعد ساعة من الآن .. » .

ـ « كلا أرجوك .... أنا ... » .

كانت الصخرة واضحة تمامًا فى هذه اللحظة .. كأوضح ما يكون ، والألم يتزايد عاتيًا كاسحًا لا يرحم .. لكنها كانت حازمة كأم تمنع ابنها من الإفراط فى الحلوى :

ـ « بعد ساعة يا (بول) .. » .

وانصرفت ....

مرت الساعة و (بول) ينتظر فى قلق وتحفز ... وفى الثامنة تمامًا دلفت للحجرة وفى يدها كوب ماء وكبسولتان من الـ (نوفريل) وجلست على طرف الفراش .. وهزت الكوب :

ـ « لقد حصلت أخيرًا على نسخة من (طفل ميزرى) .. إننى أحبها كالأخريات .. بل هى أفضلهن جميعًا .. » .

همس والعرق البارد يحتشد على جبينه :

- « شكرًا .. ولكن .. أرجوك .. رجلى .. ألم .. » .

همست هى كأنما تحلم :

- « أعرف أن (ميزرى) ستتزوج (أيان) حتمًا .. هل ذلك سيحدث ؟.. ولكن .. لا !.. لا تقل !.. دعنى أقرأ ذلك بنفسى فلا أفسد متعتى .. » ثم إنها قربت الكبسولتين من فمه .. ففتحه .. لكنها سحبت يدها :

- « لقد سمحت لنفسى باستراق النظر إلى حقيبتك الصغيرة .. رأيت فيها مخطوطة قصتك الجديدة (سيارات سريعة) .. وهى قصة لا تلعب (ميزرى) بطولتها .. أليس كذلك ؟ » .

- « بلى .. الـ .. الدواء .... » .

وتحولت نظرتها إلى نظرة أم حانية .. وأردفت :

- « لا توجد سيارات فى القرن التاسع عشر .. لقد فهمت هذا .. وقد سمحت لنفسى بالنظر إلى ما كتبته .. أظن هذا لا يضايقك ؟ .. » .

كانت تتكلم وهى تعبث بالكبسولتين .. تقذفهما من يد ليد .. تفركهما .. تقربهما من فمه ثم تبعدهما .. ، وكان هو موشكًا على الجنون .. خذى المخطوطة اصنعى من أوراقها قبعات ورقية .. افعلى بها أى شىء .. ولكن أرجوك .. إننى أموت ..

ـ « كنت أعرف أنك ولد طيب .. إن العقل الذى يفكر فى (ميزرى) ويثبت فيها الحياة لا يمكن إلا أن يكون عقل ولد طيب .. » .

وقبل أن تنهى عبارتها دست الكبسولتين فى فمه، فابتلعهما دون أن ينتظر جرعة الماء .. وأغمض عينيه منتظرًا ..

ـ « مجرد طفل .. هذا أنت .. إن لحظات سعيدة تنتظرنا يا (بول) هنا .. فقط انتظر لترى ..! » .

رقد (بول) على ظهره بعد انصرافها يرمق السقف ويصغى للرياح .. كان يدرك جيدًا أى مأزق وقع فيه ..

ها هو ذا سجين مع امرأة لا تتمتع بكامل قواها العقلية .. امرأة تملك مخزونًا هائلًا من المخدرات .. امرأة لم تخبر مخلوقًا أنه فى دارها ..

كانت مخبولة .. لكنه كان بحاجة إليها ليظل حيًا ..

« يا إلهى ساعدنى .. إننى فى مأزق مخيف .. » .





كانت مخبولة .. لكنه كان بحاجة إليها ليظل حيًا ..

٢ ـ الغضـب ..

في الصباح التالي أحضرت له الحساء وقالت إنها قرأت أربعين صفحة من مخطوطة قصته الجديدة، لكنها لا تراها جيدة كقصصه الأخرى ..

ـ « من الصعب عليَّ أن أتابعها .. إنها تتواثب عبر الزمن الماضي والمستقبل بشكل شديد التعقيد .. » .

ـ « إنه التكنيك .. » قالها آملًا في أن تخلب لبّها هذه الألعاب اللفظية « التكنيك .. موضوع القصة هو الذي يحدّد إطارها .. » .

مسحت قطرات الحساء من على شفتيه في شرود .. كأنها تتنبأ بالضبط أين ومتى ستتساقط هذه على شفتيه .. وقالت :

ـ « إنها قصة خالية من النبل ..!.. وكل هذه الألفاظ البذيئة التي بها .. » .

ـ لأن بطل القصة نشأ في بيئة سيئة .. أنت تفهمين هذا .. » .

ـ « لكن الأدباء لا يستعملون هذه اللغة .. » .

وهنا هزت يدها بعصبية فسقطت بقعة كبيرة من الحساء على غطاء الفراش، تقلص وجهها فى اشمئزاز .. وهتفت :

- « كذا !.. انظر ما جعلتنى أفعله ! » .

وألقت بسلطانية الحساء لتصطدم بالحائط ويسيل الحساء فى كل مكان :

- « إننى عصبية المزاج إلى حدّ مروع .. » .

ثم إنها نهضت حاملة الصينية واتجهت للباب .. وقبل أن تخرج التفتت نحوه .. وأردفت :

- « فى قصص (ميزرى) لا توجد ألفاظ بذيئة كهذه لأنها لم تكن قد اخترعت بعد .. إن الأزمنة الرديئة تخلق ألفاظًا رديئة .. ولهذا أنصحك أن تعود إلى عالم (ميزرى) الطاهر النظيف .. لن أواصل قراءة قصتك الجديدة إلا بعد أن أنتهى من قراءة (طفل ميزرى) .. » .

- « إذا كان هذا يريحك .. فلتفعليه أرجوك .. » .

وبعينين خرساوين راقبها تغادر الغرفة ..

★ ★ ★

فى المساء دلفت إلى الغرفة .. وكان هو غارقًا فى تهويمات النعاس حين لمح وجهها الذى اكتسب لون الرماد .. فنهض فى هلع :

ـ « مس (ويلكز) ..!.. هل أنت على ما ير.... » .

ـ « لا ..! » .

واقتربت منه مترنحة .. حاول أن يتراجع لكنه اصطدم برأس الفراش .. بدا له للحظة أنها ستسقط فوقه ، إلا أنها توقفت جواره بوجه كظيم .. عروق رقبتها بارزة كالحبال .. وثمة وريد ينبض بعنف فى جبهتها ..

وفى توحش تقلصت قبضتها :

ـ « أنت .. أنت .. يا طائر الشؤم ..! » .

كاد يتساءل عن سبب كل هذا .. ثم تذكر .. لابد أنها فرغت من قراءة القصة وعرفت كل ما كان ينبغى ألا تعرفه .. عرفت أن (ميزرى) قد ماتت بعد أن ولدت طفلها الذى سيربيه (إيان) .. وها هى ذى الآن ترمقه فى جنون وتصيح وهى تفتح يديها وتغلقهما :

ـ « (ميزرى) لا يمكن أن تموت ! » .

ـ « (آنى) .. أرجوك ! » .

كان بجوار فراشه دورق ملىء بالماء المثلج .. فرآها ترفعه وتسكب الماء البارد فوقه .. مكعب من الثلج استقر فوق أذنه اليسرى ثم انزلق على كتفه ... ثم إنها رفعت الدورق وقذفته نحو الباب ليتهشم هناك إلى ألف قطعة .. ، وصرخت :

- « يا طائر الشؤم !.. كيف جرؤت على ذلك ؟! » .

أجابها بكلمات متلاحقة وعيناه تلتمعان .. كان يدرك - ولم يكن مخطئًا - أن حياته تتوقف على ما سيقوله فى العشرين ثانية التالية :

- « (آنى) .. فى عام ١٨٧١ - زمن القصة - كانت الكثيرات من الأمهات يمتن فى أثناء الولادة .. و (ميزرى) لم تمت .. لقد وهبت حياتها لزوجها وطفلها .. إن روح (ميزرى) ستظل دائمًا .... » .

- « لا أريد روحها !.. أريدها هى .. وأنت قتلتها .. إغتلتها ! » .

قالتها وقد تحولت يداها إلى مخالب توشك أن تقتلع عينيه من محجريهما .. وغرست قبضتيها فى الوسادة على جانبى رأسه ..

- « لم أقتلها يا (آنى) .. » .

- « حقًا ؟.. وإذا لم تكن قد فعلت يا سيد (بول) فمن فعلها ؟ » بالطبع هو من فعلها .. كان يملك الدافع .. وكان يكره (ميزرى) بجنون .. ربّما منذ الكتاب الثالث ... ولكنه - والحق يقال - فوجئ بموتها .. لم يتوقع لحظة أن ينهى (طفل ميزرى) بمصرع البطلة ..

ـ « لم أقتلها .. لقد ماتت كما يحدث فى الحياة الواقعية ... و ... » .

ـ « أتظننى طفلة الأمس ؟.. لقد رأيت فى مهنتى الآلاف يموتون.. وكان ذلك لأن أجلهم حان.. أما فى القصص فهم يموتون لأن كاتب القصة أراد ذلك !.. والآن دعنى أقل لك شيئًا يا طائر الشؤم.. إن كاتب القصة ـ فى هذه المرة ـ له قدمان مكسورتان.. ويعيش تحت سقف دارى يأكل من طعامى.. » .

وفجأة.. تصلبت.. مرة أخرى وقفت وذارعاها متدليتان إلى جوارها وعلى وجهها تعبير خاو..

قبع (بول) فى الفراش يرمقها ويصغى لصوت الماء الذى كان بالدورق يتساقط على الأرض .. وللمرة الأولى فى حياته جالت بذهنه فكرة القتل .. ربما كان هذا هو أمله الوحيد والأخير ..

ببطء بدأت تعود لعالم الواقع .. غضبتها الجهنمية تنقشع .. وفى جهامة غمغمت :

ـ « أظن من الأفضل لى أن أرحل .. لا أعتقد أنه من الحكمة بقائى هنا .. » .

ـ « تذهبين ؟.. لأين ؟ » .

ـ « ليس هذا من شأنك .. لو بقيت هنا لربما قارفت عملًا أحمق .. وداعًا يا (بول) .. » .

- « وهل ستعودين لتعطينى الأقراص المسكنة ؟ » .
دونما ردّ تمسك بمقبض الباب وتغلق الباب خلفها ..
للمرة الأولى يسمع صوت المفتاح يقعقع فى القفل ..
ويسمع خطواتها تبتعد .. صوت باب يغلق .. صوت محرك يبدأ فى الدوران .. ثم يبتعد تدريجيًا .....
لقد صار وحيدًا ..
وحيدًا فى دار (آنى) .. سجينًا فى غرفته .. حبيسًا فى فراشه .. كان حلقه جافًا وعيناه زائغتين ..
وكان المدّ ينحسر عن الصخرة ..

★ ★ ★

واحد وخمسون ساعة ..
كان يصنع علامات بالقلم على معصمه كلما سمع دقات الساعة .. لابد أنه لم يضع ساعة واحدة .. لربّما غلبه النعاس لكنه لم يضع ساعة واحدة لأنه كان يصحو مذعورًا كلما سمع دقاتها ..
الجوع .. الظمأ .. الألم .. أفراس سباق تعدو فى كيانه يحاول كل منها أن ينال الجائزة الكبرى ... العرق البارد ..
النوم .. بالتأكيد كان يحتضر .. ولكم تمنى ذلك .. الصخرة واضحة تمامًا .. يرى كل معالمها للمرة الأولى ..
وفى الساعة الثالثة بدأ يصرخ .. يصرخ ..
فى الساعة الرابعة والعشرين ظهر حصان جديد فى حلبة السباق .. إنه حصان الإدمان .. الحاجة لعقار

الـ (نوفريل) ..، الحاجة تمزقه .. لربّما فكر فى النهوض من الفراش والزحف بحثًا عن الدواء، لكنه كان يلفظ الفكرة فورًا عالمًا أنه لن ينجح سوى فى السقوط.. ومضاعفة آلامه إلى درجة كونية ..

كانت قدماه تحت البطانية وشكلها المشوه يفزعه .. فلم يجروء قط على النظر إليهما لرؤية ما حل بهما .. لكنه كان موقنًا أنه لن يتمكن من الحركة أبدًا وأن الحكمة تقضى بالبقاء كما هو ...

فى الساعة الرابعة من اليوم التالى بدأ حصان الظمأ يسبق منافسيه فى حلبة السباق .. لسانه متضخم سميك.. وذهنه يحلم بدورق الماء الذى هشمته الشيطانة ..

نام.. صحا.. نام ثانية..

وهنا بدأ خاطر مروع يلتمع فى ذهنه .. هل تكون (آنى) قد ماتت ؟.. لربّما انتحرت لأنها « لا تريد الحياة بعد أن ماتت (ميزرى) .. فوداعًا أيها العالم القاسى ! » .. وهوب !.. تضغط زناد مسدس مصوب إلى رأسها .. إنها مخبولة تمامًا .. ومن السهل أن تفعلها ..

أو لربّما حدث لها حادث تصادم مروع بينما هى فى حالة الانفصام إياها.. ومعنى هذا أن يموت هو هنا كفأر فى مصيدة..

تعنى أن يغلبه فقدان الوعى فيستريح لكن فقدان الوعى بقى حلمًا عزيز المنال .. وها هو ذا راقد كدودة تتلوى تحت المجهر بلا هدف سوى الموت ..

★ ★ ★

وحين عادت أخيرًا ظن أنه يحلم ..

ثم أدرك أنها حقيقة .. وأنها ترتدى قبعة واسعة وثوبًا أزرق اللون .. وأن محياها متورد والرضا على وجهها .. وأن عينيها تلتمعان بالحياة ..

بدأ يصرخ .. يتوسل .. يعوى ..

إلى أن وجدها تناوله كوبًا من الماء وتطلب منه أن يرشف منه .. وهى تضع يدًا مثلوجة خلف رأسه حتى لا يشرق .. رشف فى جشع ثلاث جرعات ثم رآها تنتزع الماء منه :

- « لا يا (بول) .. جرعة صغيرة فى كل مرة حتى لا تتقيأ .. » .

اهتزت يداه فى لهفة متوسلًا :

- « (آنى) !.. أتوسل إليك !.. الدواء .. الألم .. » .

هزت رأسها فى تسامح .. وغمغمت :

- « سأعطيك إياه .. ولكن أولًا هناك مهمة يجب أن تقوم بها لى .. سأعود إليك حالًا .. » .

ونهضت متجهة إلى الباب .. فصرخ فى لهفة :

- « لا ! » .

إلا أنها لم تعبأ به .. وهنالك قبع فى الفرش محاولًا ألا يئن برغم كل شىء .. ثم .. بعد دقائق فوجئ بآخر مشهد توقعه فى حياته .. كانت الحمقاء تدفع أمامها شواية فحم !.. ، شواية من النوع الذى يستعملونه فى النزهات الخلوية .. وها هى ذى الآن فى غرفة نومه مستدعية صورًا لا تنتهى من قصص القرابين الوثنية .. ، بالفعل لم يكن مخطئًا حين تذكر القرابين الوثنية لأن (آنى) كانت تحمل معها مخطوطة قصته (سيارات سريعة) - نتاج سنتين من العمل الشاق - ومعها علبة ثقاب مليئة !

★ ★ ★

- « لا ! » .

صرخ فى جنون وقد أدرك ما تنتوى عمله ، ولم تفارق ذهنه فكرة أليمة .. لو أنه فقط استغنى عن بضع دولارات وأعد صورة احتياطية لهذه المخطوطة ..!.. لماذا لم يفعل ؟.. لم يخطر له قط أن النسخة الوحيدة على وجه الأرض لقصته ستقع فى يد (آنى) ..

- « بل نعم ! » قالتها وهى تمد علبة الثقاب نحوه « إنها قصة رديئة وبذيئة » .

صاح فى جنون وقد أنساه غضبه واجب الحذر :

- « أنت لا تعرفين الغث من السمين لأنك حمقاء ! » .

- « وأنت لا تعرف مصلحتك يا (بول) .. هيا .. خذ الثقاب ! » .

وهنا فوجئ بعلبة دواء تحت أنفه .. علبة أنيقة براقة مكتوب عليها (نوفريل) .. ثم (عينة طبية مجانية) .. ثم (لا يُصرف دون روشتة طبية) ، وكان عرضها واضحاً .. إذا أحرق المخطوطة ستعطيه كبسولتين من الدواء .. وستبدل له الفراش الذى بلّله بالبول .. وستقدم له وجبة ساخنة .. ولسوف يزول الألم والجوع والظمأ .. أما إذا لم يفعل فلن يكون بوسعها عمل شىء ..

- « أنت شيطانة ! » .

- « هذا هو ما يقوله الطفل عن أمه حين تدخل المطبخ لتجده يلهو فى مسحوق الغسيل تحت الحوض ..! وهذا يحزن الأم .. لكنه لا يمنعها من أداء واجبها كما أؤدى أنا واجبى الآن .» .

الحبوب .. الحبوب !.. المخطوطة تحوى عمل سنتين و ١٩٠ ألف كلمة .. لكنه بحاجة إلى الحبوب اللعينة ..

- « أنا بانتظارك يا (بول) .. » .

عليك اللعنة ..!.. ماذا تحاول إثباته يا (بول شيلدون) ؟.. ماذا يدفعك إلى أن تموت أو تجن من أجل كتاب لا تعرف مصيره ولا يحوى سوى أوهام ؟ فيمن تحاول أن تؤثر ؟ وأية نتيجة تنتظر ؟.. حتى (جاليليو) تراجع عن نظرياته بمجرد أن أدرك أنهم جادون فى تهديده ..

- « أنا بانتظارك يا (بول) .. » .

نعم !.. هلمى !.. ناولينى علبة الثقاب .. ناولينى فأنف لهب وعبوة نابالم إذا أردت !.. لكن شيئًا فى روحه ظل يقاوم بعنف ..

ـ « إذن فلتحرقيها أنتِ ما دمتِ تريدين ذلك .. » .

ـ « أتمنى هذا يا (بول) لكننى لا أستطيع .. » .

ـ « ولمـاذا ؟ » .

ـ «لأنك أنت من ينبغى أن يفعل هذا بكامل إرادته !» .

بيد مرتجفة تناول علبة الثقاب منها .. وحاول أن يشعل عودًا لكنه لم يستطع .. من ثم تناولت هى الثقاب وأشعلت له عودًا ثم ناولته إياه .. ووضعت الصفحة الأولى على الشواية .. اللهب يتعالى .. ثم الصفحات التالية لها تتجعد .. الكلمات التى كتبها منذ أربعة وعشرين شهرًا .. قال (تونى) لفتاته فى حزن «ليست لدى سيارة .. وإننى لبطىء التعلم لكننى أقود السيارات بسرعة مذهلة» .. يذكر آلام المخاض .. ومشيه المجنون بين حجرات المنزل .. يذكر صوت جرس كنيسة بعيدة .. ويذكر لهفته .. كما فى كل مرة ، متعة البدء المقدسة ..

كما فى كل مرة ، الخشية من أن يكتب أسوأ مما أراد أن يكتبه .. ثم ـ كما فى كل مرة ـ اللذة الصارخة والفرحة بأن الرحلة قد بدأت ..

ـ « (آنى) .. أرجوك .. لا ترغمينى على ذلك .. » .

ـ « لكنك قد بدأت بالفعل .. » .



ثم تناولت هى الثقاب وأشعلت له عودًا ثم ناولته إياه .. ووضعت الصفحة على الشواية ..

وهكذا .. أحرق (بول) كتابه ..

★ ★ ★

ـ « أحسنت يا (بول) .. أنت ولد طيب ولك روح رياضية عالية .. أعرف أن هذا يؤلم مثلما تؤلمك قدماك، لهذا لن أطيل عذابك » .

قالتها وناولته عود ثقاب أخيرًا ليلقيه على كومة الأوراق السوداء التى كانت قصته يوما ما .. مئات القصاصات المحترقة تتطاير فى هواء الغرفة الذى صار خانقًا .. لكن (بول) لم يهتم كثيرًا حتى لو احترقت الغرفة ذاتها .. لم يعد شيء يعنيه ..

بعد ثوان جاءت (آنى) بدلو مليء بالماء وسكبته فوق الشواية لتطفئها .. .. ثم أخذت كتلة الرماد المبتلّ خارج الغرفة، وعادت له لتدس كبسولتين فى فمه ..

كان آخر ما فكر فيه قبل أن يغمض عينيه هو :

ـ « لسوف أقتلها ! » .

★ ★ ★

لم يستطع النوم ..

الأفكار تتلاحق فى ذهنه كأنها قصاصات أوراق فى مهب الريح .. إنهما معزولان فى مزرعة بعيدة ولا يوجد جيران قريبين لأنهم ـ كما قالت له من قبل ـ لا يحبونها .. وماذا عن سيارتك الـ (كامارو) ؟.. لابد أنها فى مكان

قريب فهل سيجدها رجال الشرطة ؟.. لربّما وجدوها .. وعندئذ كانوا سيبدءون حملة تفتيش واسعة ..

إن المرأة ـ كما هو واضح ـ لا تشاهد التلفاز ولا تسمع المذياع إلا إذا كان مذياعها مزودًا بسماعتى أذن ..، لكنه ـ للأسف ـ يستطيع أن يستنتج أنه ما دامت الشرطة لم تأت فهو لم يجد سيارته .. وما دام لم يجدها فمن الواضح أنه لن يجدها أبدًا !

شرع يتخيل الضابط الوسيم الذى سيأتى باحثًا عنه .. بارد الطباع .. يرتدى منظارًا أسود ليرى المتهم صورته فيه مزدوجة .. ونبرة صوته الهادئة :

ـ « لقد عثرنا على سيارة مقلوبة عند هضبة (همبجى) تخص كاتبًا شهيرًا اسمه (بول شيلدون) .. لم نجد جثته لكننا وجدنا آثار دماء على المقاعد، فهل رأيت رجلًا جريحًا له هذه الأوصاف يوم العاصفة ؟.. رجلًا طويل القامة فى الأربعين من عمره وشعره بلون الرمال .. يرتدى الجينز وقميصًا مخططًا ؟ » .

ستقدم له (آنى) قدحًا من القهوة (ستكون بالطبع قد تأكدت من غلق كل الأبواب بين (بول) والشرطى) وستقول فى ثقة إنها لم تر أحدًا لأنها عادت لدارها سريعًا خشية العاصفة ..، عندئذ ينهض الشرطى شاكرًا لها قدح القهوة ويطلب منها أن تتصل به إذا ما جدّ جديد ..، من

يدرى ؟ ربّما حدث هذا المشهد بالفعل وربّما زار هذا الشرطى الخيالى البيت بينما كنت أنت فى غيبوبة المخدر ! وبدأ الخاطر يغرق فى أوراق مسودة تشتعل .. كانت مخطوطة (سيارات سريعة) تحترق أمام عينيه .. يا للهول !.. كانت تحرق عمله ببساطة لأنها لم تكتب فى حياتها ولا تفهم لذة الخلق .. كان اعتزازها الأحمق بذاتها يجعلها تحسب أن هذا هو الصواب .. ربّما لو أنك كذبت عليها وزعمت أن هناك نسخة أخرى من المخطوطة .. ربّما تركتك وشأنك .. وربّما فهمت أن تدمير العمل يتجاوز قدراتها .. ولكن لا .. من يدرى ؟.. إن عجزها عن تدمير الكتاب البذىء قد يدفعها لتدمير مؤلف الكتاب البذىء !.. ومن المؤكد أنه لا توجد نسخة أخرى من (بول شيلدون) .

أغمض عينيه .. وتنهد ....

صبرًا يا (آنى) !.. إنه شهر (فبراير) .. وعما قريب يذوب الجليد وتتكشف سيارتى للعيون فيراها رجل شرطة أو فلاح على محراث أو صبية كشافة .. عندئذ .....

★ ★ ★

فى الصباح أحضرت له الآلة الكاتبة ...

عتيقة مليئة بالتروس والروافع .. تعود إلى عهد كانت فيه الآلات الكاتبة الكهربية والتليفزيون الملون وهواتف اللمس نوعًا من الخيال العلمى ، آلة كاتبة متآكلة جلبتها له ووضعتها - لاهثة - على الفراش عند قدميه .. .

- « حسن !.. ما رأيك ؟ » .
- « جميلة !.. أنتيكة حقيقية ! » .
صاحت فى حنق :
- « لم أشترها من متجر العاديات بل من متجر الأدوات المستعملة .. إن هذه الآلات العتيقة تظل بخيرها للأبد .. هى ليست سوى دبابات !.. اشتريتها من تلك الملعونة الثرثارة (نانسى دارتمونجر) فى محلها .. هى إنسانة سيئة .. إنسانة قذرة ... » .

كان قد تعود تمامًا على دورات مزاجها وخضع تمامًا لها .. كان يعرف متى تكفهر ومتى تبتسم ، ومن المذهل أنه ارتبط نفسيًا بدورتها هذه .. يضحك متى ضحكت ويرتجف هلعًا متى قطبت .. لكن الثورة هذه المرة - لحسن الحظ - لم تكن تخصه .. بل تخص (نانسى دارتمونجر) ..

- « إلا أن بها عيبًا بسيطًا - أعنى الآلة - هو أن حرف (النون) معطل .. انظر بنفسك .. » .

وأمالت الآلة نحوه ليرى دائرة الحروف المتراصة وبينها حرف ناقص كأنه ضرس مخلوع فى طاقم أسنان متهالك ..

كانت الآلة ترمقه بحدة ـ يستطيع أن يقسم على ذلك ـ واعدة إياه بأوقات عصيبة ..

ـ « جعلت المرأة تخفض الثمن خمسة دولارات لأننى قلت لها إن حرف (النون) من الحروف الهامة فى اللغة .. بل هو حرف هام فى اسم كاتبى الأثير ..! » .

قال لها مداهنا :

ـ « وهو حرف هام فى اسم ممرضتى الحبيبة ! » .

ـ « يا لك من وغد ! » .

واحمرّ وجهها فازدادت بشاعة .. لو أن صنمًا من الأصنام المرعبة فى روايات (رايدار هجارد) قد شعر بالخجل .. لبدا مثل هذه المرأة ..، قالت باسمة :

ـ « كلفنى الكرسى المتحرك كثيرًا لكننى لا أهتم بذلك ذرة .. إن الوقت قد حان كى تتعود الجلوس بالإضافة إلى أنك لن تستطيع الكتابة راقدًا .. » ثم فرقعت بأصبعها كأنها تقدم برنامج منوعات فى التلفاز .. وهتفت :

ـ « لقد أحضرت لك لوحًا خشبيًا قطعته على المقاس .. وكذا الكثير من الأوراق .. انتظر ! » .

وغادرت الغرفة متواثبة ثم عادت بعد ثوان بكرسى متحرك وقد أراحت لوحًا من الخشب على مسنديه، ووضعت الآلة الكاتبة على اللوح صانعة بذلك نوعًا من مكاتب المعوقين .. ودون جهد رأى (بول) أية تعاسة سيعيشها وهو سجين هذا المقعد ...

- « وماذا تريدين منى أن أكتب إذن ؟ » .

احمرت عيناها والتمعتا وهى تنظر له فى نشوة :

- « ستكتب قصة جديدة يا (بول) .. ستكتب أفضل قصصك .. ستكتب (عودة ميزرى) !! » .



٣ ـ حملة استكشاف ! ..

ـ « عودة (ميزرى) ؟! » .

ضمت يديها القويتين إلى صدرها والتمع وجهها .. وهتفت :

ـ « نعم يا (بول) !.. سيكون كتابًا خاصًا لى أنا .. فكر فى هذا .. النسخة الوحيدة من أحدث قصص (ميزرى) لى أنا وحدى .. وسيكون هذا هو أجرى على القيام بتمريضك حتى عدت بكامل صحتك ..! » .

ـ « لكن (ميزرى) ..... قد ماتت .. » .

وهنا توقف وقد أدرك ـ لأول مرة ـ أنه يستطيع أن يعيدها للحياة .. لم لا ؟.. إن الرجل الذى يتوسل من أجل المخدر لن يضيره فى شىء أن يكتب بالأمر ..

ـ « أنت تعلم يا (بول) أن (ميزرى) لم تمت ..» .

ببطء رفع وجهه نحوها .. وضاغطًا على كل حرف من كلماته همس :

ـ « (آنى) .. إذا كتبت لك هذا الكتاب .. هل ستتركيننى أرحل ؟ » .

ـ «أنت تتصرف كما لو كنت سجينى .. » .

نظر لها فى صمت ولم يعلق .. فأردفت فى نوع من خيبة الأمل :

- « ستكون حرًا .. هل هذا هو ما تريده ؟ » .

- « أريد كل نسخ (ميزرى) الموجودة عندك من أجل المطابقة .. » .

- « لك هذا .. ولكن ما معنى (مطابقة) ؟ » .

- « انه النسق التاريخى للشخصية .. الأماكن .. الخبرات .. وكلها أحفظها فى (دوسيه) مفهرس فى دارى ليس معى الآن .. » .

لم يبد عليها أدنى اهتمام بهذه الأسرار التكنيكية التى كانت تبهر هواة الأدب عند سماعها ، والسبب واضح .. إن (آنى) هى نموذج للجمهور المثالى ..، تحب سماع القصص لكنها لا تهتم بتاتًا بآليات صناعتها .. وهى تؤمن بأن (ميزرى) ومن حولها حقائق لا مجال لمناقشتها ..

- « والآن سأتركك إلى أن ترتدى قبعة التفكير .. سأدرس تجليد الكتب لأتمكن من تجليد (عودة ميزرى) وسأضعها جوار الانجيل الخاص بأمى .. » .

واتجهت نحو الباب فى مرح .. ثم توقفت قائلة :

ـ « سآتيك بحساء بطاطس وصدر دجاجة بعد نصف ساعة .. أنت ولد طيب ، ولسوف آتيك بالدواء في وقته .. ومن يدري ؟ .. ربما أعطيتك كبسولة إضافية في وقت النوم .. يجب أن أطمئن إلى أنك نلت قسطًا كافيًا من النوم الهادئ .. » .

وقبل أن تغلق الباب ناولته قبلة شنيعة على الهواء ..

★ ★ ★

في الصباح أيقظته (آني) بينما أشعة الشمس الدافئة تتمطى من النافذة .. كان قد حلم بأن (آني) هي (شهرزاد) في إحدى قصص ألف ليلة وليلة .. على أنه أدرك سخف هذا الحلم حين صحا من النوم .. لم تكن (آني) هي (شهرزاد) بل هو ! .. هو المكلف بتسليتها والويل له إن عجز عن شد انتباهها ..

قامت بتحريك المقعد إلى جوار النافذة لتسقط أشعة الشمس عليه لأول مرة من دهور .. كأنه بجلده الذي لطخته قُرح الفراش يصلي صلاة شكر للخالق الأعظم ..

ومن النافذة رأى السماء الزرقاء ـ كأنما خُلقت في هذه اللحظة ـ وسجادة من الأعشاب الخضراء تمتد إلى ما لا نهاية .. يتوسطها جرن أنيق الشكل .. وجواره عربة (جيب) شيروكي معتنى بها إلى حد كبير ، دنت منه (آني) ووضعت أمامه صينية عليها وجبة خفيفة وجلست جواره ترمقه إذ يأكل ..

- « أراك معجبًا بالجرن .. » قالت فى شرود « مجرد (منظره) .. إن تنظيف الجليد حين يقع على سقفه لهو (العك) الحقيقى .. » .

(عك) و (منظره) و (طائر الشؤم) .. لو قدر لك أن تخرج من هنا حيًا وأن تكتب عن (آنى) فلا تنس قاموس كلماتها هذا ..

- « والآن يا (بول) .. لتبدأ الكتابة .. » .

- « حسن .. ولكـــن .. هذا النـــوع من الأوراق لا يناسبنى .. » .

- « لكنها أغلى الأنواع ..! » .

- « ألم تقل لك أمـك إن الأغلى ليس بالضـرورة الأفضل ؟ » .

قالها مستمتعًا بإثارة حنقها .. فهو واثق بأنه - على الأقل - قادر على قهرها فيما يتعلق بالنقاط التكنيكية التى لاتعرف عنها شيئًا .. وفى صبر بدأ يشرح لها أن الكتابة على هذه الأوراق الناعمة تزول بسهولة بمجرد مسحها بالأصبع .

قالت فى حنق :

- « وهل أنت تنوى أن تجلس وتمسح كل صفحة بإصبعك ؟ » .

ـ « إن احتكاك الأوراق ببعضها فى أثناء التقليب كاف جدًا .. دائمًا لابد فى مهنتنا هذه من تقليب الأوراق بحثًا عن اسم أو تاريخ .. » .

ـ « (بول) .. أنا أكره بشدة أن تسمى هبة الله العظيمة لك (مهنة) .. هذه وقاحة ! » .

ـ « أسف ... » .

ـ « وعلى كل حال سأحضر لك هذه الأوراق (المقرفة) .. فلا تزعجنى .. » .

ثم مدت يدها الغليظة إلى شعره فاقشعر .. حاول ألا يفعل لكن هذا كان أقوى منه .. وبصوت غليظ همست .

ـ « سأذهب للمتجر الآن ولكنى أريد منك أن تتذكر شيئًا .. ربما أبدو لك غبية أو بطيئة التفكير .. لكنك لن تخدعنى أبدًا يا (بول) فلا تحاول ذلك » .

نظر لها فى هلع .. كان شعرها منتثرًا على وجهها وقد تحرر من دبابيسه ، ونظرة الصنم الغاضب فى إحدى روايات (رايدار هجارد) .. ثم إنه سمعها تعوى من بين أسنانها :

ـ « جى ى ياه ده ! » .

وهوت بقبضتها على كتلة الألم التى كانت يومًا ما ركبته .. فصرخ .. هوى برأسه للوراء وقد وثبت العروق على جبينه وعنقه ..

ـ « والآن .. لتجلس ها هنا وتفكر فى كل الأشياء التى أستطيع عملها من أجل إيذائك لو حاولت خداعي .. اصرخ إذا أردت فلن يسمعك أحد .. لا أحد يمرّ هنا لأنهم جميعًا يعرفون أن (آنى ويلكز) مجنونة .. الجميع يعرف ما فعلته حتى ولو كانوا قد برّءوا ساحتى ! » .

واندفعت للباب ، ثم أنها استدارت نحوه فجأة .. فصرخ ثانية متوقعًا هجمة جديدة ومزيدًا من الألم .. كان يرتجف كالورقة محاولًا ألا يفعل لأن الرجفة تزيد آلامه .. كان يبكى كطفل ..

وحين سمع محرك السيارة يهدر مبتعدًا أخذ يردّد :

ـ « يا إلهى الرحيم .. خذنى بعيدًا عن هذا الكابوس أو أمتنى ! » .

كان الألم قد استيقظ .. والجزر قد بلغ مداه حول الصخرة .

★ ★ ★

والآن هو ذا المعلق المجنون يصف أحداث المباراة فى ذهن (بول) :

ـ « أنا لا أصدق جرأة هذا الـ (بول شيلدون) .. لا أحد من المشاهدين فى إستاد (آنى ويلكز) يصدق ما يراه .. إنه يحاول التحرك بالكرسى المتحرك بعد الضربة الأليمة التى تلقاها !.. هو ذا !.. نعم !.. دعونا نر المشهد بالعرض البطىء .. » .

كان العرق والدمع يغمران شفتيه وهو يحاول .. الألم يعصف به .. لا يمكن أن يوجد كل هذا القدر من الألم فى العالم .. كأنما الشياطين تلوك لحمك .. العقـــار .. إلـ (نوفريل) .. الشيء الوحيد الذى يدفعه للحركة .. يجب أن تبحث عنه وأن تجده فى الوقت الذى انصرفت فيه ..

« (بول) يحاول بجرأة .. ترى هل ينجح ؟ » .

ثمة مشاكل عدة .. الباب المغلق .. البـــحث عن الكبسولات .. احتمال أن تعود فجأة وتضبطك متلبسًا .. لا يهم .. فلتعن بكل مشكلة فى وقتها أو لتمت .. أما الآن فالدواء هو الأهم ...

إن المقعد يتحرك .. هذا رائع ..

ضغط على شفته السفلى وبدأ يحاول الدوران حول محور المقعد مستعملًا ذراعيه .. كان مجهودًا يفوق قدرة البشر ، حتى أنه غاب عن الوعى بضع دقائق .. ثم عاد يواصل ما بدأه ..

مدّ يده بأقصى ما يستطيع إلى الأرض .. إلى ثلاثة دبابيس شعر سقطت منها .. لكن الدبابيس ظلت بعيدة عن متناول أصابعه .. العرق يغمر البيجامة وينساب على عنقه ..

« لا أظنه قادرًا على الوصول إلى الدبابيس يا شباب .. كان مجهودًا طيبًا لكننى أخشى أنه ينتهى هنا .. » .

انحنى على ناحية المقعد اليمنى .. كان مفصل فخذه الأيمن يوشك على الانفجار .. يمدّ أصابعه كما لم يمدّها من قبل .. لمس دبوسًا لكنه ـ فقط ـ نجح فى أن يبعده أكثر .. عيناه جاحظتان .. العرق يغمر حاجبيه .. أسنانه تعتصر طرف لسانه ..

فى النهاية تمكن من الدبوس .. واعتصره فى قبضته ..

جلس يلهث بعض الوقت ويلتقط أنفاسه .. ثم أنه حرك المقعد تجاه قفل الباب الذى أغلقته هى .. ، كان (تونى بوناسارو) بطل قصته (سيارات سريعة) لص سيارت .. وكى يتعلم أساليبهم لجأ لرجل شرطة متقاعد علمه كيف يستخدم دبابيس الشعر فى فتح السيارات وكيف يعطل الإنذار وكيف يبدأ المحرك .. لقد صار (تونى) حفنة من الرماد الآن ، لكن ذكراه لم تمت .. لذلك ..

أمسك بالدبوس .. كان القفل من النوع العتيق .. وهو واثق من أن يديه لن ترتجفا .. لا يمكن أن ترتجفا .. ها هو ذا يعالج القفل من الداخل .. يوشك دبوس الشعر أن يتهشم .. لكن لا .. أرجوك يا إلهى احفظه لى ..

« إن كل الجمهور بالإستاد صامت ينتظر .. (بول شيلدون) مستمر فى محاولاته البطولية .. هيًا !.. شجعوه يا شباب !» .



هاهو ذا يعالـج القفل من الـداخل .. يوشك دبوس الشعر أن يتهشم .. لكن لا .. أرجوك يا إلهى احفظه لى ..

ضغط خفيف على الرفاص .. قليلًا .. قليلًا .. دفعة أخرى يا إلهى !.. سمع صوت قرقعة فأدرك أن الدبوس قد تحطم داخل القفل .. وقبل أن يعلن لنفسه أنه فشل أدرك أن الباب قد انفتح أخيرًا ..!

تعالى الهتاف المجنون فى الإستاد الخيالى على حين شرع المعلق يردد :

« دعونا نر اللقطة بالسرعة البطيئة .. » .

لكن حناجر الآلاف ظلت تردد الصراخ الحماسى ، دعك -بالطبع- من الملايين الذين يرون المشهد على شاشات التلفاز ..

★ ★ ★

كانت لحظة سيئة - بل مريعة - حين أدرك أن المقعد لا يمرّ من الباب .. وأن عرضه يزيد على اتساع الباب ببوصتين .. وهنا تذكر أنها أمالت المقعد على محوره الطولى حين أدخلته الغرفة أول مرة الأمر الذى لن يستطيعه أبدًا ..

بعنف حاول أن يحشر نفسه .. تشبث بجانبىّ الباب ودفع المقعد بعنف غير عابئ بأن جوانب العجلات ومحاورها تخدش خشب الباب بعنف ..

لكنه مرّ ..!.. فى الحقيقة مرّ ....

على أنه حين رفع وجهه عن الأرض وجدها واقفة أمامه !.. كانت أسنانها تلتمع .. وفى يدها بندقية مصوبة نحوه ..!!..

ـ « مادمت تريد حريتك إلى هذا الحدّ يا (بول) فمن واجبى أن أمنحها لك ..! » وضغطت على الزناد ....

★ ★ ★

لم تنطلق الرصاصة ...

فى الواقع لم يكن وجود (آنى) سوى كابوس رآه حين أغشى عليه .. على أنه قال لنفسه إن هذا ليس مجرد كابوس بل هو إنذار .. فمن الممكن أن تعود فى أية لحظة ..

لقد خرجت فى المرة السابقة خمسين ساعة .. فلعلها تخرج ثمانين هذه المرة ، ومن الوارد أن تعود الآن فى أية لحظة لتفجر رأسك ..!

وبدأ يدفع المقعد عبر الممر ..

كان هناك حمام على جانب الممر ، وكان يعرف بوجوده لأنه سمع المياه تتدفق منه مرارًا من قبل .. نظر بداخله فرأى حوضًا و (بانيو) صغيرًا ، وثمة صيدلية صغيرة معلقة .. ولم يكن هناك (تواليت) ..

عضلاته ترتجف كأنما كل الوقت الذى أضاعه فيما مضى يمارس الرياضة كان حلمًا .. ولقد كاد رأسه ينفجر وهو يحاول إدارة المقعد ليواجه الباب .. إلا أنه ـ أخيرًا ـ نجح فى

أن يعبر بعجلات المقعد فوق البلاطات البيضاء التى تغطى الأرضية .. ثمة رائحة ما .. رائحة مستشفيات .. هل هى رائحة (الليزول) ؟.. ليس واثقًا .. المهم الآن أن يصل إلى الصيدلية .. من الواضح هذه المرة أن الأمر مستحيل لأنها على ارتفاع تسعة أقدام من أطراف أصابعه .. ولم يستطع أن يصدق لحظة أن الحياة قاسية إلى هذا الحدّ ..

وهنا خطر له أن يستعمل أى جسم طويل يمدّه لباب الصيدلية ويفتحها .. ثم يدحرج بعض الدواء ليسقط فى الحوض .. ولكن لا .. ستتهشم الزجاجة فى الحوض وحتى إذا لم تتهشم فثمة فرصة لا بأس بها أن تسقط أشياء أخرى .. وعندئذ لن تستطيع إعادتها لمكانها .. وحين تعود (آنى) وتكتشف ما فعلت .. فماذا بعد ؟

- « سأقول لها إن (ميزرى) هى التى فتحت الصيدلية .. كانت تبحث عن دواء يعيدها إلى الحياة ! » .

لم يكن يضحك إذ قال ذلك .. بل يبكى .. يبكى بحرقة .. وفجأة - من بين دموعه - لمح بعض صناديق من الورق المقوى على الأرض فى ركن الحمام .. وعلى كل صندوق كُتب اسم إحدى شركات الأدوية العالمية ..!

- « أرجوك يا إلهى .. لا تدع هذه الصناديق تحوى مخزونها من الشامبو أو صور أمها المرحومة الغالية ..! » .

واتجه إلى واحد من الصناديق وفتحه .. كان مليئًا بعينات الأدوية التى لم يعرف كيف يقرأ اسم أكثرها .. لكنه على الأقل لم يجد الدواء الذى يبحث عنه ..

- « (نوفريل) !.. أريد هذا اللعين ! » .

وأغلق الصندوق وحاول باستماتة إعادته إلى موضعه السابق.. لكن المكان اللعين بدا له مختلفًا عن المكان الأصلى..، فتح صندوقًا آخر وبدأ يقرأ الأسماء (مورفوز) .. (ليبرم) .. (نوفريل) !.. ها هو ذا اللعين !.. مئات العينات منه.. فتح إحداها فى لهفة وابتلع ثلاث كبسولات غير عابئ بعدم وجود ماء ..

كأنه سحر !.. لقد زال الألم !.. لم يكن أحمق إلى هذا الحد ، وكان يعرف أن نصف ساعة لا بد أن تمضى قبل أن يبدأ العقار فى العمل .. لكن - بالنسبة لجسده - كان امتلاك الكبسولات أهم من ابتلاعها !.. كان الآن يملك السيطرة على قوى المد والجزر وعلى الأمواج إذ تغطى الصخرة ..

والآن حان وقت الفرار .. لو جاءت الآن فسوف .....

انتقى خمس علب من العقار (لأن هذا أكبر عدد يمكن أن يأخذه دون أن تشعر هى) وبها ثلاثون كبسولة ، ثم أعاد تنسيق محتويات الصندوق وأغلقه كما كان لأن .....

صوت سيارة يقترب ..!..

اتسعت عيناه وهوت ذراعاه على جانبى المقعد .. لو أن هذه سيارة (آنى) فقد انتهى الأمر .. لن يتمكن أبدًا من العودة إلى غرفة النوم بهذه السرعة .. ولن يكون عليه سوى الانتظار حتى تأتى إليه وتدق عنقه ..

الصوت يتعالى .. يتعالى .. ثم يخفت .....

تنفس الصعداء وقرر أن ينهى هذه المسرحية القاسية ويعود لغرفة النوم فورًا .. ولكن .. هل أعاد كل شىء لمكانه ؟.. بدا لعقله المنهك أن ترتيب الصناديق ليس عشوائيًا كما خيل له أول الأمر .. إن (آنى) مخبولة .. ومثل كل المرضى النفسانيين لابد أنها تهتـم بأدق التفاصيل.. ولكن .. ليكن !.. لم يكن لديه مخرج آخر سوى أن يفعل ما فعله ..

وهكذا أدار المقعد وخرج من الحمام .. وهنا جال بذهنه خاطر مرعب: ماذا لو كانت أرضية الحمام مبتلة ؟.. لابد أنه ترك آثارًا على البلاط الأبيض النظيف من عجلتى المقعد .. كانت الفكرة قوية إلى حدّ أنه رأى تلك الآثار بالفعل.. ثم أنه طرد هذا الوسواس من ذهنه ..

كان فى طريقه إلى غرفة النوم حين أدرك أن غرفة المعيشة - حتمًا - فى الجانب الآخر من القاعة .. وفى غرف المعيشة يضع أكثر الناس أجهزة الهاتف .. والتمعت الفكرة فى ذهنه المحموم ..

ـ « اسمعنى يا حضرة الضابط ولا تقاطعنى .. لا أعرف كم بقى لى من الوقت حتى تعود .. اسمى هو (بول شيلدون) .. أتحدث من منزل (آنى ويلكز) حيث أنا سجينها منذ فترة طويلة .. أرسلوا عربة إسعاف وسيارة دورية .. وبسرعة بحق السماء قبل أن تعود !! » .

ولكن من قال لك إن عندها جهاز هاتف ؟.. أنت لم تسمع رنينه مرة واحدة .. أنت تجازف يا صديقى ولكن إغراء البلاستيك الأسود البارد وصوت دوران القرص أو الصوت المتقطع لأزرار اللمس .. هذا الإغراء يفوق قدراتك على التحمل .. ودون تردد اتجه نحو الطرف الآخر من الممر ..

كان الهواء راكدًا واللون الأحمر يسيطر على كل شىء .. ثمة صورة فى إطار مذهب لامرأة ترمقه فى حقد .. واضح طبعًا أنها المرحومة أم (آنى) ... وفى أرجاء القاعة كان هناك أثاث حقير متهالك .. وفى ركن كان هناك جهاز هاتف ينعس تحت مزهرية خضراء قبيحة ..

مدّ يده للسماعة وقلبه يكاد يثب لفمه ..

لكنه أدرك على الفور أنه ميت .. بلا حرارة ..

« وهذا هو (العك) الحقيقى .. » .

شرع يتخيل ما فعلته .. لقد كان العالم مليئًا بالأوغاد الذين يسخرون منها ويتهمونها بشىء ما .. لهذا ـ ببساطة ـ انتزعت سلك الهاتف الخارجى لتتخلص منهم وإن حافظت على وجود الهاتف لأنه يتعلق (بالمظهر الاجتماعى) ..

واستبد به الذعر ..

لقد حان وقت العودة هذه المرة .. يجب أن تعود للحجرة سريعًا وتخفى الحبوب وتخفى أى أثر لحملتك الاستكشافية .. لا تسقط أى شىء فى رحلة عودتك .. هلم أسرع ..

وهنا سمع صوت محرك سيارتها .. وأدرك فى هذه المرة أنها هى ..!

★ ★ ★

كان موشكًا على فقدان الوعى ..

وفى أعماقه اختلج أعظم رعب عرفه فى حياته .. تذكر موقفًا مشابهًا حين كان فى الثانية عشرة من عمره وقد خرج أبوه وأمه من الدار .. تناول سيجارة من علبة سجائر أبيه وأشعلها مستشعرًا الدوار والشعور بالذنب واللذة .. وبينما هو فى منتصف السيجارة والغرفة تعبق بالدخان سمع صوت الباب يُفتح وأمه تهتف : « (بولى) !.. هذا أنا .. نسيت كيس نقودى ! » .. شرع يحرك الدخان فى جنون عالمًا أنه لن يفلح .. عالمًا أنه وقع فى الشرك .. عالمًا أن العقاب آتٍ لا محالة ..

فى هذه المرة لن يكون العقاب بضع صفعات ..

صوت المحرك يتوقف .. إنها هى بالفعل هذه المرة .. لا شك فى ذلك .. وضع يدين مخدرتين على العجلتين وشرع يشق طريقه عبر الممر .. إلى باب غرفة النوم ..

حاول كالمحموم أن يقتحم الباب .. ترى هل خدشت الطلاء ؟.. هل ثمة أثر واضح ؟.. ولكن .. لقد انحشر المقعد فى فتحة الباب .. انحشر كقطعة فلين فى عنق زجاجة لا تستطيع الدخول ولا الخروج .. ادفع بقوة برغم أن هذا لن يفيد .. ادفع ..

توترت عضلات ذراعيه كأوتار الكمان المشدود .. أخيرًا .. استطاع أن يقتحم الفتحة .. لا تتوتر .. لابد أنها تحمل مشتروات كثيرة .. على الأقل رزمة الورق التى طلبتها .. فلا تتوتر .. ستحتاج بعض الوقت لإدخال هذه الأشياء .. لقد انتهى أسوأ ما فى الأمر ..

أمسك بمقبض الباب وأداره محاولاً غلق الباب لكن اللسان العنيد أبى أن يتحرك كأن شيئًا يعوقه .. حاول مرارًا دون جدوى ..

صوت أبواب السيارة تُغلق ..

آه !.. إنه الجزء من دبوس الشعر الذى تهشم داخل القفل هو ما يعوق اللسان ..

صوت حقائب من البلاستيك .. وصوت أنين المرأة إذ تنوء بحملها ..

- « هلم .. هلم أيها اللعين ! » .

توسل إلى اللسان وتوسل إلى دبوس الشعر المسكور .. الدمع والعرق يختلطان على خده .. إنها لن ترحمك .. لن ترحمك ..

صوت قدميها تقتربان .. صوت مفاتيحها تخرج من الحقيبة ..

أدار المقبض مرارًا .. اللسان يتحرك أكثر .. فأكثر صوت باب المطبخ ينفتح .. صوت (آنى) يناديه (كما نادته أمه فى ذلك اليوم) :

- « (بول) .. هذى أنا !.. لقد أحضرت لك الأوراق ! » .

وفى هذه الثانية تهشم الجزء المحشور من دبـوس الشعر .. وبرز اللسان للخارج كاملًا .. ضغط على الباب فأقفله .. صوت طقطقة الكالون .. هل سمعته ؟.. مستحيل ألا تكون قد سمعته !.. تحرك بالمقعد إلى جوار النافذة حين سمع خطواتها تدنو من الباب .. وسمع صوت المفتاح يتحرك فى القفل .. لن تنجح فى فتح الباب بسبب دبوس الشعر وسينتابها الشك .. لكن لا .. لقد دار المفتاح بسلاسة ..

أغمض عينيه ودعا الله أن تحسب العرق الذى يبلل وجهه وصدره والرجفة فى كل جسده .. أن تحسب كل هذا نتيجة لحرمانه من العقار .. ، دعا الله كذلك ألا يكون قد ترك خلفه أثرًا ما ..

نظر للأرض باحثًا عن آثار تركها المقعد بينما الباب ينفتح ..

وهنا فطن لحماقته ..

كانت علب الـ (نوفريل) مازالت فى حجره ..!

★ ★ ★

٤ ـ عـودة (ميزرى) ..

كانت معها رزمتان من الورق .. وكانت تبتسم قائلة :

ـ « هوذا النوع الذى أردته .. أليس هو ؟.. »

ثم إنها نظرت له بحدّة .. وتقلص وجهها :

ـ « لكنك محتقن وغارق فى العرق .. ماذا كنت تفعل ؟! » .

كاد الطفل فى داخله يصرخ .. إن (ماما) تعرف كل شىء .. اعترف لها بكل شىء واطلب مغفرتها ، إلا أنه تماسك وأجابها بصلابة الفولاذ :

ـ « أنت تعرفين ما كنت أفعل .. كنت أتعذب ! » .

مسحت العرق من على جبينه بمنديل ورقى وابتسمت فى رقة مفزعة .. فسألها متظاهرًا بأنه يتألم :

ـ « هل لى فى الدواء الآن ؟ » .

ـ « فورًا .. ولكن أريد منك أن تتذكر ما إذا كنت نسيت شيئًا آخر يحتاج إليه العباقرة أمثالك فى الكتابة .. مثلًا جهاز كاسيت أو شبشب كتابة أو شيئًا من هذا القبيل .. حاول أن تتذكر .. » .

- « لا شيء يا (آنى) .. الدواء .. أرجوك .. » .

هبطت بعينيها إلى أسفل .. إلى حجره .. إلى حيث تشابكت يداه حول علب (النوفريل) .. ظلت تنظر فترة طويلة .. دهورًا .. ثم ..

- « (بول) .. لماذا تمسك بيديك حجرك بهذه الطريقة ؟ » .

انفجر باكيًا .. كان يشعر بالإثم .. بالذنب .. لكنه واصل خدعته كآخر ورقة عنده :

- « أريد الدواء .. و .... المبولة .. لقد بللت بنطالى و .... » .

ابتسمت وداعبت شعره :

- « يا لك من طفل بائس ..!.. لقد تمادت (آنى) كثيرًا هذه المرة .. (آنى) العجوز المنحطة !.. لكننى سأريحك حالًا .. » .

ما إن غادرت الغرفة حتى أخفى العلب فى المكان الوحيد الذى خطر بباله وهو مؤخرة سرواله ، ثم استراح فى جلسته حين رآها عائدة بالمبولة وكوب ماء وكبسولتين من (النوفريل) ..

قال لنفسه « ثلاث كبسولات من عشر دقائق والآن اثنتان .. ربما غرقت في غيبوبة لن تصحو منها أبدًا .. لكن .. ربما كان هذا أفضل .. » ابتلع الكبسولتين .. وتناول منها المبولة على حين أدارت ظهرها له ..

ـ « والآن لنعد للفراش .. أنت مُرهق ولابد أن قدميك تتشدان ألحانا أوبرالية ! » .

هزّ رأسه برغم أنه ـ فى الوقت الحالى ـ لم يعد يشعر بشىء .. إن جرعة الدواء الزائدة تهوى به إلى ظلمات اللاوعى بسرعة مفزعة .. الخاطر الذى لم يفارق ذهنه هو أنها سترفعه للفراش .. وعندئذ ينبغى أن تكون عمياء وفاقدة الحس كى لا تلاحظ العلب التى تملأ مؤخرة سرواله ..

ـ « (آنى) .. هلا انتظرت خمس دقائق حتى ..... » .

ـ « حتى ماذا ؟ » .

ـ « حتى ...... » .

كان يعرف ما يريد قوله لكنه لا يجد الكلمات .. ضاعت منه وسط بحيرات اللون الرمادى التى تحيط به .. من القسوة أن يفتضح أمره بعد كل هذه المعاناة .. ومن المؤكد أنها ستفضح أمره على كل حال ..

إلا أنها وافقت على تركه إلى أن يبدأ العقار عمله حتى لا يؤلمه الصعود للفراش .. وغادرت الغرفة، فما إن اختفت حتى انتزع علب الدواء ودسها تحت المرتبة .. الغرفة كلها مغلفة بشاش أبيض يزداد سمكًا، وغرق فى غيبوبة. عميقة. غيبوبة استمرت أربع عشرة ساعة ..

★ ★ ★

فرغ (بول) من كتابة أول ثلاث صفحات من (عودة ميزرى) .. كان مندهشًا من السهولة والبساطة التى استطاع بهما أن يعود إلى عالم (ميزرى) المتشعب المعقد الملىء بالميلودراما .. بل - لشدة دهشته - كان الأمر مريحًا كأنك ترتدى حذاء قديمًا عندك اعتاد قدميك ..

كانت (آنى) جالسة بجواره تقرأ ما كتبه .. ثم أعلنت رأيها :

- « ليست سليمة ..! » .

لم يصدق أذنيه .. كيف ؟.. إنها قصة قادمة من عالم (ميزرى) إلى حدّ لا يُوصف .. إنها من صميم (ميزرى) .. ولكن ما معنى (ليست سليمة) ؟!

- « كيف ؟.. ألا تحبينها ؟ » .

- « كيف لا أحبها ؟.. إنها مؤثرة للغاية وقد كادت عيناى تدمعان فى بعض الفقرات .. لكنها غير سليمة .. إنها غشّ وينبغى أن تغيرها ! » .

ماذا حدث يا (بول) لقارئتك المثالية ؟.. لقد تحولت القارئة المثالية إلى الناشر عديم الشفقة فجأة ..

رسم (بول) على وجهه تعبير الاهتمام الصناعى الذى كان يصغى به لآراء الناشرين ، ذلك التعبير الذى كان يرضيهم ويجعلهم يتنازلون عن بعض أفكارهم الحمقاء .. وسألها :



فرغ (بول) من كتابة أول ثلاث صفحات من (عودة ميزرى) ..

ـ « ماذا تعنين بكلمة (غش) ؟ » .

ـ « أنت تذكر نهاية قصة (طفل ميزرى) .. لقد ذهب (جوفرى) على صهوة حصانه ليحضر الطبيب لـ (ميزرى) لكن الطبيب لم يأت قط ، لأن (جوفرى) سقط من على الحصان وحطم كتفه .. وهكذا لا يمكن أن تبدأ قصة (عودة ميزرى) لنجد أن الطبيب أنقذ حياتها .. » .

بدأ (بول) يفهم .. إن هذه المرأة لا تسمح له بقتل (ميزرى) لكنها ـ كذلك ـ لا تسمح له بإعادة (ميزرى) للحياة عن طريق التلفيق ..

لكنك قتلتها بالفعل .. فماذا بوسعك أن تفعل ؟..

قالت (آنى) :

ـ « عندما كنت طفلة كنت أذهب للسينما لمشاهدة الحلقات الأسبوعية التى يقوم ببطولتها (الفارس المقنع) و (فلاش جوردون) وغيرها .. كنت أذهب مع أخى مساء كل سبت فى (بيكرسفيلد) حيث ولدت .. ، وكنت أستمتع بنشرة الأخبار والرسوم المتحركة ، لكننى كنت شغوفًا بمعرفة ما سيحدث فى حلقة اليوم من المسلسل .. ربما أضنانى التفكير أسبوعًا كاملًا فى انتظار هذه اللحظة ، كانت حلقة الأسبوع الماضى تنتهى دائمًا بالبطل فاقد الوعى بينما طائرته تنحدر بسرعة ، أو مقيدًا فى مخزن يحترق ، أو مكبلًا فى سيارة بلا فرامل .. » .

ـ « يسمون هذا التكنيك (كلف هانجرز) أى (التعلق على الحافة) .. » .

ـ « أعرف ذلك يا سيد عبقرى ! إنك تحسبنى جاهلة تمامًا .. » ولوحت بذراعها فى وجهه فأدرك أن الصمت هو أسلم الحلول .. وأردفت :

ـ « كنت أصبو دائمًا لمعرفة ما سيحدث .. وكان يرضينى أى حل طالما كان (عادلًا) .. مثلًا يصحو البطل فجأة من إغماءته .. يجد مظلة تحت المقعد .. فيربطها إلى جسده ويثب من الطائرة قبل أن تهوى .. هذا حل (عادل) .. ليس واقعيًا لكنه (عادل) .. » .

كان كلامها مذهلًا وأثار اهتمامه تمامًا .. إنها بالسليقة تعرف واحدة من أهم أساسيات البناء الدرامى (★) .

ـ «والآن خذ عندك نهاية أخرى .. عندما وضعوا البطل فى سيارة دون فرامل وأحكموا غلق السيارة وجعلوها تنطلق فى طريق متعرج بين الجبال .. لا جدوى من الفرار .. لا مخرج .. وفجأة ترى الهاوية .. وترى السيارة تطير فى الهواء وتهوى .. تصطدم بالصخور ثم تنفجر وتظهر على الشاشة عبارة (البقية فى الحلقة القادمة) .. وهكذا .... » .

(★) يسمى الأدباء هذه الطريقة بـ (أسلوب المظلة تحت المقعد) ، ويسميه السينمائيون بـ (أسلوب جريفث فى الإنقاذ على آخر لحظة) ، ويسميه المسرحيون بأسلوب (الإله من الآلة) .

كانت جالسة الآن على حافة فراشه وقد اتسعت عيناها حماسة :

- « فى الأسبوع التالى ذهبت للسينما من الساعة الثانية عشرة ظهرًا برغم أن العرض لا يبدأ قبل الثالثة ..، ثم بدأ العرض .. رأينا السيارة تصل لحافة الهاوية ثم رأيت البطل يفتح باب السيارة ويثب منها ، على حين هوت السيارة لتلقى مصيرها .. كان كل الصبية فى السينما يهللون ويصفقون .. لكننى لم أفعل .. فقدت صوابى .. وقفت أصرخ : « كلّا ..!.. لم يكن هذا هو ما حدث فى الأسبوع الماضى ..!.. » ، حاول أخى أن يخرسنى دون جدوى .. ظللت أصرخ : هل أنتم أغبياء ؟.. هل فقدتم جميعًا الذاكرة ؟.. وخرجت من السينما مرددة : إن هذا غش قذر ..!.. إن البطل لم يخرج من السيارة قط قبل سقوطها من على الحافة .. هل تفهم هذا ؟.. هل تفهمه ؟ » .

والتمعت بوادر العاصفة فى عينيها .. وبرغم ذعره وبرغم استيقاظ طفولتها المعقدة ؛ فإنه بدأ يشعر بالخجل من نفسه لأنه مارس معها ذات (الغش القذر) .. كانت محقة فى حنقها برغم تفاهة الأمر كله ..

صمم على عدم استفزازها لأن غضبتها ستكون مرعبة ..
أمسكت به من سترته وجذبته ليلمس وجهه وجهها ..
وصرخت :
ـ « هل تفهمه ..؟ » .
ـ « طبعًا يا (آنى) .. طبعًا .. » .
ـ « إذن أنت تعرف ما يضايقنى فى الصفحات التى كتبتها ؟ » .
ـ « نعم .. أعتقد ذلك » وفى سره أكمل : « ولتلعننى السماء إن عرفت كيف أعالج هذا .. » .
وفى أعماقه أدرك أنه لم يجد طريقة يعيد بها (ميزرى) للحياة ويقنع (آنى) بها فإن نهايته قريبة ..

★ ★ ★

أغمض (بول) عينيه وأرجع ظهره للوراء فى مقعده .
كان الألم قد بدأ يتلاشى ، ومن الغريب أنه لم يلمس مخزونه من الـ (نوفريل) المخبأ تحت المرتبة ، كأنما كان يكفيه هذا (التأمين ضد مخاطر (آنى)) ليزول الألم .. لكن المشكلة الحقيقية كانت هى إداركه لخطر الإدمان الزاحف عليه .. ما دام الألم يقل رويدًا رويدًا فلم لا تعتمد على مسكن أقل خطرًا كالأسبرين مثلًا ؟.. لم لا تحاول أن تخفى إحدى الكبسولتين اللتين تعطيهما لك كل ساعتين تحت لسانك حتى لا تبتلعها .. وعندما تمضى هى تخرجها من فيك وتدسها تحت الوسادة ؟.. هكذا تستطيع تقليل الجرعة تدريجيًا ..

ولكن .. أنا مُتعب اليوم .. ليكن ذلك غدًا ، أو ـ على الأكثر ـ حين ترضى (آنى) عن الفصل الأول من قصة (عودة ميزرى) ..

لكنها مخبولة .. أنت تدرك ذلك .. ولن يروق لها أى شىء مما تكتبه .. أنت تفهم هذا جيدًا ..، لكم من صفحات تكدست فى سلة المهملات ليلة أمس كلها مليئة بسطور حمقاء تتحدث عن المعجزة التى عادت بها (ميزرى) للحياة .. وكلها سخيفة تفتقر للعدل .. (غش قذر) كما قالت (آنى) .. إنه لمحظوظ حقًا فى كون (آنى) لم تهشم قدميه بمضرب الـ (بيسبول) أو تطلى له أظفاره بماء النار تعبيرًا عن عدم رضاها .. إن هذا يناسب مفهومها الفريد للعالم ..، لقد ابتكرت (آنى) أسلوبًا جديدًا فى النقد الأدبى كفيلًا بإثارة الرعب فى قلوب الأدباء جميعًا .. وفى مرارة نظر إلى الآلة الكاتبة .. وغمغم :

ـ « إننى أمقتك ..! » .

★ ★ ★

كان يفتش عن (المظلة الموجودة تحت مقعد الطائرة) ..

وضع ورقة فى الآلة الكاتبة .. وكتب على ركنها الأيمن العلوى (عودة ميزرى) ثم رقم (١) على الركن الأيسر العلوى ..، وأدار الرافعة أربع أو خمس مرات وكتب فى منتصف الصفحة (الفصل الأول) .. كان يضغط المفاتيح بعنف أكثر مما يقتضيه الأمر لأنه أراد أن تسمعه (آنى) ..

والآن ها هو ذا بياض الصفحة يتحدى عينيه كجبل من الجليد سيسقط من فوقه ليدق عنقه .. « إن هذا غش قذر » .. « كان يرضينى أى حل ما دام عادلًا » .. « ما دمت تريد حريتك إلى هذا الحدّ يا (بول) فمن واجبى أن أمنحها لك ! » .. « هذا هو العك الحقيقى .. » ..

كان يغرق فى بحر الشرود .. خطأ جسيم لأنها لو دخلت الغرفة ووجدته شاردًا ستجنّ .. لكنه لم يكن يملك أن يركز تفكيره ..

كان يعود بذاكرته إلى معسكر الكشافة فى (مالدن) .. الدائرة .. واللعبة التى كنت تربحها دائمًا .. ماذا كان اسمها ؟ اسمها (هل تستطيع ؟) .. وكان رئيس الكشافة يُجلس الصبية حوله فى دائرة ويحكى لهم عن رجل يدعى (كوريجان المستهتر) يستكشف الأدغال فى أمريكا الجنوبية .. وفجأة يجد نفسه محاصرًا بأسود جائعة ..

وهنا يشير رئيس الكشافة إلى واحد من الصبية ويضغط زرّ ساعة الإيقاف ويسأله .. « (دانييل) .. هل تستطيع ؟ » .. عندئذ يواصل (دانييل) سرد القصة خلال عشر ثوان ، فإن تأخر فى الكلام كان عليه أن يترك الدائرة .. يستطيع (دانييل) - مثلًا - أن يقول إن (كوريجان) أطلق الرصاص على الأسود وجرى .. ثم ينتقل بالسؤال إلى أحد المحيطين به

«هل تستطيع؟» ليأخذ منه زمام السرد.. وكانت هناك الكثير من التلفيقات، لذلك كان دور الجزء الأعقد من اللعبة: «هل فعل ذلك؟» يسألها الرئيس طالبًا رأى الصبية فى مدى مصداقية ما تم سرده.. قد يوافقون وقد ينكرون.. (بول) لم يخسر اللعبة قط......

هل تستطيع يا (بول) ؟.. طبعًا.. لهذا أنا حىّ.. ولهذا أنا ثرى.. هناك من يكتبون بأسلوب أفضل منى.. وهناك من يفهمون البشرية خيرًا منى.. أنا لا أستطيع لعب التنس ولا أستطيع تغيير (جلدة) الصنبور ولا أستطيع عزف نغمة واحدة على الجيتار.. بل وفشلت فى زواجى مرتين، لكننى أستطيع.. أستطيع.. أستطيع أن أخلق قصصًا تبهرك.. تسحرك.. تجعلك ترتجف فرقًا.. أو تبكى حزنًا.. ولهذا سأنجح.. سأعيد (ميزرى) إلى الحياة ولن يجرؤ واحد على رفض مصداقية كلماتى حين يسألهم الرئيس:

- «هل فعل ذلك؟».

لن يجعلنى أحد أخرج من الدائرة.

* * *

في الساعة الحادية عشرة بدأ (بول) يكتب ..

في البدء كان بطيئا .. ضربات فردية على المفاتيح تليها فترات من الصمت قد تصل إلى خمسين ثانية ، ثم بدأت فترات الصمت تقصر .. وتقصر .. وبدأت سرعته تزداد وقرقعة المفاتيح تتواصل ..

وحين دخلت (آنى) الحجرة لتراقبه لم يشعر بوجودها ، بالأحرى لم يشعر بوجوده هو نفسه .. ظل يعمل في حماسة حتى الثالثة بعد الظهر .. ثم إنه - في المساء - طلب منها أن تعيده إلى المقعد ثانية ليواصل الكتابة ، وفي الحادية عشرة دخلت (آنى) الحجرة لتعيده للفراش إلا أنه توسل إليها كي تتركه خمس عشرة دقيقة أخرى .. لكنها رفضت ..

وللمرة الأولى نام بمجرد أن لامس الفراش ودونما أحلام .. لقد استهلك كل رصيده من الأحلام على الورق ..

★ ★ ★

كانت قصة (عودة ميزرى) تبدأ باكتشاف مروع .. إن هناك من الأسباب ما يدعو حارس المقبرة للاعتقاد بأن (ميزرى) ما زالت حية فهو يسمع صوت أنين وحركة من التابوت الذى ترقد فيه ، ويصارح (جيوفرى) ومسز (راميدج) بذلك . من ثم يصمم هذان الاخيران على نبش المقبرة ليريا ما هنالك ..

كانت هذه هي نهاية الفصل السابع حين دلفت (آنى) إلى الحجرة .. نظر إليها وإلى الأوراق التى تحملها والتى فرغت من قراءتها .. وسألها :

- « حسن .. هل هذا (عادل) ؟..

- « بالفعل .. (عادل) ومثير .. لكنه شنيـــع !.. هو لا يشبه أيًا من قصص (ميزرى) السابقة .. ثمة شىء مفزع .. » .

فكر (بول) : هذا لأن كاتب القصة يعيش فى ظروف شنيعة هو الآخر .. ثم إنه سألها :

- « هل أستمر على هذا النسق ؟ » .

- « سأقتلك لو لم تفعل ! » .

هذه المجاملة جمدت الدم فى عروقه .. إن العبارات على منوال « أنت جميل ويمكننى أن آكلك أكلًا .. » كانت مفزعة حين تقولها (آنى) ، إلا أنه شعر بالرضا حين لاحظ أنها تقف بعيدًا كأنما تخشى الاقتراب منه .. إنها الحرارة المنبعثة من بين السطور .. لقد شعرت (آنى) حتى كأنها تخشى الاقتراب أكثر لئلا تحترق !..

- « هل تحبين أن تقرئى ما أكتب أولًا فأولًا ..؟ » .

- « هذا يناسبنى ويشوقنى .. سأقرأ فصلًا فصلًا » .

ـ « أريد خدمة أخرى .. هلا أكملت لى كل حروف (النون) الناقصة بالقلم ؟.. » .

ـ « هذا يسعدنى .. » .

قالتها وغادرت الغرفة ..

هنا لاحظ (بول) شيئًا ما ...

على جانبى الباب كانت هناك علامتان سوداوان.. علامتان تركتهما جوانب الكرسى منذ ذلك اليوم الذى كانت فيه حملته الاستكشافية .. إن (آنى) لم ترهما حتى الآن.. ولكن إلى متى ؟.. ستراهما .. وعندئذ ...

★ ★ ★

صباح اليوم التالى كان جالسًا فى الفراش يرشف قدحًا من القهوة .. وفجأة اقتحمت (آنى) الحجرة وفى يدها ـ صدق أو لا تصدق ـ زوج من (الكلبشات) الحديدية ، وقبل أن يفهم (بول) شيئًا رفعته فى الفراش فصرخ من الألم .. وسقط قدح القهوة على الأرض .. ماذا دهاها ؟!..

فى ثوان لوت يديه خلف ظهره وقيدتهما بالأصفاد ..

ـ « اخرس يا غبى .. ولا كلمة ! » .

قالتها و دست طرف الملاءة ودسته فى فمه ..



« اخرس يا غبى .. ولا كلمة ! »

قالتها وكومت طرف الملاءة ودسته فى فمه ..

« أحذرك يا (بول) .. لو سمعوا صوتك أو لو سمعت أنا صوتك سأقتله ثم أقتلك ثم أقتل نفسى ! » .

آه !.. إذن فهناك زائر !.. سمع (بول) صوت الباب الخارجى يُغلق، ومن النافذة المفتوحة رأى سيارة تقف جوار سيارة (آنى) الجيب ..، ورأى رجلًا مهندمًا فى الستين من عمره يغادر السيارة .. ها هى ذى (آنى) تهرع فى اتجاهه .. لماذا لا تدعينه للدخول يا (آنى) ؟.. لماذا لاتدعينه ليرى طائرك النادر المكبل بالأصفاد فى الفراش ؟..

كانت تتكلم والبخار الأبيض يخرج من فيها كبالونات الكلام فى القصص المصورة .. والرجل يحاول إقناعها بشىء ما .. ثم يريها أوراقًا لكن (آنى) تأبى النظر إليها ربّما لأنها (مقرفة) أو (عك) ..

يا لمذاق الملاءة فى فم (بول) !.. القىء يتصاعد إلى حلقه لكنه يقاومه .. الرجل يتجه فى استعلاء إلى سيارته ليدير محركها، على حين تقف (آنى) تصرخ وهى تهز إصبعها مهددة .. الصوت يصل بصعوبة لأذنى (بول) .

ـ « أنت تحسب نفسك نبيييبيهًا ! » .

لكن الرجل تحرك بالعربة غير عابئ بثورتها .. فإذا بها تركل مصباح السيارة بعنف لتهشمه تمامًا .. وثورتها تتزايد .. تتزايد :

- « يا طائر الشؤم !.. حتى الكلاب تكون أكثر لياقة منك حين ... » .

لكن الرجل كان قد ابتعد وقد آثر السلامة ..!

سمع (بول) باب المطبخ يُفتح ويُغلق بعنف .. فقال لنفسه :

- « حسن .. لقد ذهب السيد (منقذ) بعيدًا عن متناول يدها .. لكنى هنا !.. للأسف أنا هنا ! » .



٥ ـ المزيد من الاكتشافات ..

حين عادت للغرفة أخذت تذهب وتجيء دون أن تنظر في اتجاهه .. مرددة في عصبية وهي تلوح بقطعة الورق التي ناولها إياها الرجل :

ـ « عشرة في المائة زيادة في الضرائب .. حجوزات .. محامون !.. قرف !.. قرف ! » .

أخذ ينن محاولًا تذكيرها بالملاءة المحشورة في فمه لكنها لم تعره انتباهًا ..

ـ « خمسمائة دولار يجب أن أدفعها على هذا المنزل .. ولكن كيف نسيت ذلك ؟ » .

وفي شرود بدأت تفك وثاقه وأعادت الأصفاد إلى جيب مريولتها .. كان هو يفكر .. الواقع يا (آنـــي) أنك نسيت ـ ببساطة ـ لأن حالتك تتدهور .. يومًا فيومًا تعبرين الحاجز الفاصل بين الجنون القابل للعلاج والجنون المستعصي ..

لم تكن تملك مالًا ؛ لهذا عرض أن يعيرها خمسمائة دولار في حافظته على أن تذهب للمدينة فورًا لتسدد ما عليها من ضرائب ، وكان يأمل ذلك في بضع ساعات من الوحدة يواصل فيها اكتشافاته ..

بعد تردد أحضرت له الحافظة ليعطيها المال ..

منذ شهور يا (بول) كنت إنسانًا حرًا مفعمًا بالحياة يدخل إلى (بنك بولدر) ليصرف شيكًا بخمسمائة دولار .. كانت الموظفة التى صرفت لك الشيك فاتنة وقد رمقتها بإعجاب فبادلتك النظر .. لو أنها رأتك الآن ..!.. لو أنها رأت الشبح الذى صرته كسيح القدمين ناحلًا واهنًا ..!

كان يبكى .. بحرقة يبكى ....

★ ★ ★

حين رحلت (آنى) كان هو مستعدًا .. دبابيس الشعر التى جمعها خلسة من وراء ظهرها طيلة الأيام الماضية كما يجمع السنجاب البندق ... وحين تأكد من أنها انصرفت فعلًا وليست قابعة فى انتظار ضبطه وهو (يعط) (مصطلح آخر من قاموس (آنى) أثرى به لغته أخيرًا) ؛ عندئذ بدأ يتحرك بالمقعد نحو الباب .. كانت ذراعاه قد ازدادتا قوة وهذا سيدهش (آنى) لو عرفته يومًا ما .. حتمًا ستعرف ذلك حين يخنقها !..

هذه المرة لم تستغرق منه معالجة القفل الكثير من الوقت .. وانفتح الباب بسهولة .. أخرج منديلًا ورقيًا وبدأ يعالج العلامتين السوداوين على جانبى الباب ليزيلهما ..

فما إن زالت العلامتان حتى عرف أنه لا يرغب حقيقة فى التجوال هذه المرة .. ستكون هناك مرة ملائمة ولسوف يجدها حتمًا .. أما اليوم .. هو لا يرغب سوى فى الكتابة ..

وهكذا عاد بمقعده إلى داخل الغرفة وأغلق الباب خلفه ..

★ ★ ★

إنه منتصف ابريل ....

كومة الأوراق على يمين الآلة الكاتبة تتزايد ..، من الغريب أنه ـ قبل الحادث ـ كان يعتبر أن أقصى إنتاج له هو أربع صفحات يوميًا .. أما اليوم فهو يكتب اثنتى عشرة صفحة يوميًا ولقد بلغ عدد صفحات القصة مائتين وسبعًا وستين صفحة حتى اليوم ..

كان السبب ـ كما أدرك ـ هو انتظام حياته وبعده عن السفاسف .. لم تعد هناك جولات على الحانات ولا شقراوات ولا سجائر .. فقط الـ (نوفريل) .. ولعله الآن أكثر المدمنين انتظامًا فى العالم .. المدمن الوحيد الذى يتعاطى المخدرات بانتظام وبالساعة! .

كان يقضى الوقت فى الأكل أو النوم أو القراءة ، وكانت (آنى) تملك المجموعة الكاملة لـ (سومرست موم) فاعتاد (بول) قراءتها برغم أنه كان يظن أنه لن يقرأ أى كتاب

بانبهار منذ صار أديبًا هو الآخر .. لكن (موم) أغواه بقصصه المشوقة وأعاده إلى مرحلة البراءة الأولى ..

سمع صوت خطوات (آنى) الثقيلة على الأرض فرفع رأسه.... ثدسلاش !.. ثدسلاش ! وهنا فوجئ - مذعورًا - بأنها لا ترتدى سوى خف واحد فى قدمها .. رفع رأسه أكثر فوجد أن شعرها مبعثر وعينيها زائغتان وثمة علامات حمراء على خديها وذراعيها .. كما أن بقايا الطعام كانت متناثرة على صدرها .

ودونما كلمة قذفت له بكبسولتى الـ (نوفريل) وعادت تجر قدميها .. ثدسلاش !.. ثدسلاش !..

- « (آنى) !.. هل أنت على ما يرام ؟ » .

- « لا ! » .

واستدارت نحوه ، ودونما تغير يذكر فى ملامح وجهها ، رآها تعتصر شفتها السفلى بين أصبعيها الإبهام والسبابة .. فى غلّ لوتها .. شدتها ، وإذا بالدم يسيل على ذقنها .. وانصرفت دونما كلمة تاركة (بول) يحاول إقناع نفسه بأنه حقًا رأى ما رأى ! ومن وراء الباب الموصد سمع صوتًا .. صوت صفحات .. بالتأكيد !.. إن (آنى) جالسة وحدها فى الصالة تصفع نفسها !

وهنا تتذكر حقيقة عرفها من الأطباء النفسيين الذين استشارهم يومًا ما فى شأن إحدى قصصه .. حين تتزلق الشخصية الانبساطية الاكتئابية إلى ظلمات مرحلة اكتئاب ؛ فإنها تعاقب نفسها فى صورة صفعات .. لدغات .. حروق بالسيجارة تحدثها فى جسدها الخاص ..

كان هذا هو الحال مع (آنى) فى هذه اللحظة ..

★ ★ ★

حين فتح عينيه ـ بعد غفوة قصيرة ـ وجدها واقفة جوار فراشه .. كانت تمسك كوب ماء وباليد الأخرى تمسك فأرًا ميتًا رمادى اللون .. هذا ليس كابوسًا .. إنه يوم آخر يمضيه فى بيت المفاجآت مع (آنى) ..! نظر لوجهها فأدرك أن حالتها قد ازدادت سوءًا عن الصباح .. أدرك أنه يراها الآن دون أقنعة .. وأن هذه هى (آنى) الحقيقية .. (آنى) الكامنة تحت الجلد .. ، وجهها الخالى من التعبير يتدلى كقطعة من العجين ، وتنورتها مقلوبة ، وعلى وجهها مزيد من الكلمات وعلى ثوبها مزيد من بقايا الطعام ....

فى تؤدة رفعت جثة الفأر وهمست :

ـ « إنها تأتى إلى المخزن حين تمطر السماء .. لكنها تقع فى المصيدة التى أعددتها لها .. » .

ونظرت للفأر وسالت دمعة على خدها :

ـ « يا لها من مخلوقات بائسة .. بائسة .. وكلنا مثلها .. كلنا فئران تعسة حبيسة فى مصيدة لكنها تحسب أنها ترغب فى الحياة .. » .

وضغطت على جثة الفأر ثم ألقتها فى ركن الغرفة ومسحت يدها فى الملاءة ،، ثم نظرت لـ (بول) فى ترغيب :

ـ « إنه ينعم بالسلام الآن .. سأحضر بندقيتى يا (بول) فلربَما كان العالم الآخر أفضل للناس والفئران سواء ! » .

لم يعد يشعر بفمه .. احتبست الكلمات .. إنه لم يرها فى هذه الحال قط .. بل لم ير أحدًا فى حال كهذه من قبل .. لكنه فهم أن هذه أبشع حالات الانحطاط المعنوى التى يبدأ بعدها المصابون فى الاكتئاب فى قتل المحيطين بهم ،، الاكتئاب وحده يجعل الناس ينتحرون .. فإذا خالطه الجنون بدأ المريض يحاول أن يخدم الآخرين ويأخذهم معه ..!..

إننى لم أكن فى حياتى أقرب إلى الموت من هذه اللحظات .. لأن اللعينة تعنى كل حرف من كلامها .. يجب أن أقول شيئًا ..

- « (آنى) .. دعنى أنتهِ من .. كتابة (ميزرى) .. إننى أوافقك فى أن الدنيا قاسية بما يكفى وأن بها ألمًا كثيرًا ثم .. الأمطار .. لكم تضايقنى الأمطار .. لكنى .. أريد أن أرى كيف سينتهى الكتاب .. لن أموت مرتاحًا ما لم ... » .

تنهدت مفكرة :

- « حسن .. ربّما كان ذلك صوابًا .. إن كتابك هو الشىء الوحيد الباقى لى فى العالم لأتطلع إليه ..، لكنك لست أحمق يا (بول) .. أنت تعرف جيدًا أنك لن تخرج من هنا حيًا ..!.. سواء كان ذلك الآن أو بعد انتهاء الكتاب ..، أعرف أنك تفكر فى الهروب لكنك لن تستطيع !.. » .

ثم إنها نهضت معلنة أنها ذاهبة إلى مكان خاص بها تعتكف به من حين لآخر .. وجواره وضعت كمية كبيرة من الـ (نوفريل) لتسدّ حاجته فى أثناء غيابها :

- « خذ كبسولتين كل ست ساعات أو ست كبسولات كل أربع ساعات أو خذ كل الكبسولات الآن ..!.. لا فارق .. » .

أراد أن يسألها عما سيأكله ، ثم عدل عن ذلك خشية أن يثير لديها فكرة البقاء معه .. كان يريد أن تنصرف لأن وجودها أشبه بوجود ملك الموت ..

ظل راقدًا فى الفراش يصغى لصوت حركاتها متوقعًا فى كل لحظة أن تغير رأيها .. وتقتحم الحجرة حاملة البندقية ، حتى حين سمع الباب الخارجى يغلق لم يطمئن .. فلربما كانت تخبئ البندقية فى سيارتها الـ (شيروكى) ..

أخيرًا هدر محرك السيارة .. وسمعها تتحرك .. ثم تبتعد ..

نظر إلى جثة الفأر المكومة فى ركن الغرفة .. وصاح:

ـ « من زعم أنها لم تترك لى شيئًا يؤكل ! » .

وانفجر يضحك فى هستيريا .. يضحك .. يضحك ..

★ ★ ★

بعد ساعة فتح (بول) باب الحجرة وخرج منه (للمرة الأخيرة كما تمنى) .. هذه المرة كان مصممًا على الفرار .. سيكون الطريق غارقًا فى الوحل والظلام دامسًا والأمطار غزيرة لكنه لا يعبأ بهذا كله .. إنها فرصته الأخيرة ..

خرج إلى الصالة .. الصالة التى كانت نظيفة فى المرة السابقة لكنها الآن مفعمة بالأطباق المتسخة ملقاة فى كل مكان .. وكلها بها بقايا حلوى .. أيس كريم .. قشدة ..

★ ★ ★

ـ « تنفس عليك اللعنة .. تنفس ..! » .

★ ★ ★

تذكر على الفور رائحة أنفاسها المشبعة بالحلوى إذ كانت تحاول إفاقته من غيبوبته ، كانت هناك ـ كذلك ـ زجاجات مياه غازية فارغة واضح أنها كانت تجرع منها بيد ملوثة بالكريمة ، وكانت بقع الآيس كريم متساقطة على السجادة فى كل مكان .. وعلى المائدة كان هناك كتاب سميك مكتوب على غلافه (شارع الذكريات) .. اتجه إلى باب المطبخ آملًا فى أن يكون قابلًا للفتح .. لكن لا .. كان الباب موصدًا بثلاثة أقفال من أجود الأنواع التى لا يمكن فتحها .. وبالطبع كانت المفاتيح فى جيب (أنى) فى مكان اعتكافها ..

لم يكن باب المنزل الرئيسى أفضل حالًا .. وفى أعماق (بول) بدأ الهلع يتزايد .. ماذا ستفعل بحق السماء ؟.. إنها فرصتك الأخيرة .. كيف ستخرج من هنا ؟

مذاق الدموع المالح يملأ فاه والموجودات تزدوج .. ولكن .. تعقل !.. اهدأ قليلًا لتتمكن من التفكير يا أحمق !.. لن تموت قبل أن تعرف معجبتك رقم (١) مدى سعادتك بلقائها !.. ليس هذا وعدًا بل هو قسم مقدس ..

ما هى فرصته لو استطاع الخروج ؟.. وسط الأمطار والأوحال يجرّ مقعده إلى الطريق ثم ينتظر مرور سيارة قد لا تمر أبدًا ..

لاشعوريًا بدا يبحث فى المطبخ عن مأكولات يمكنه أخذها ولاتثير شكوكها .. ثم أدرك في مرارة معنى هذا : إن عقله الباطن قد نبذ فكرة الفرار .. قال لنفسه إنه نبذها مؤقتًا .. بل للأبد ! هكذا ردت نفسه فى سخرية .. لن أيأس أبدًا .. هل تسمعين ؟.. لن أيأس !..

كان المطبخ مليئًا بالمأكولات كأنه سوبر ماركت صغير وإن كان تنسيق أصناف الطعام يوحى بشىء ما .. كأنه خط الحدود بين (ولاية الواقع المستقلة) و (جمهورية بارانويا الشعبية) .. ولكن .. ليس الوقت مناسبًا للتأمل .. هلم إلى الطعام .. هناك بعض علب السردين فى كل علبة مفتاحها .،. كذلك هناك علب بولوبيف وأكياس من البطاطس المحمرة ..

لا يجب أن ينسى شيئًا لأن الحقيقة التى يجب أن يذكرها هى أنه يجازف بحياته فى كل مرة يفارق حجرته فيها ..

اتجه بالمقعد إلى الصالة ..

فشدّ انتباهه الكتاب السميك المعنون (شارع الذكريات) على المنضدة .. فتح الكتاب بحذر فوجد فى الصفحة الأولى قصاصة من جريدة تمثل صورة زفاف .. بتاريخ ١٩٣٨ والعروس تشابه صورة المرحومة أم (آنى) بشدة .،. واسمها ـ كما ورد بالخبر ـ هو (كريسلدا بيريمان) .. اسم مناسب تمامًا لقصص (ميزرى) ..



اتجه بالمقعد إلى الصالة ..

فشد انتباهه الكتاب السميك المعنون (شارع الذكريات)

فى الصفحة الثانيـة كانت قصاصة جريـدة بتاريـخ ١ أبريل ١٩٤٣ تهنئ الزوجين بميلاد طفلتهما (آنى ويلكز) .. أى أن (آنى) فى الرابعة والأربعين من العمر ، ولم يفتـه أن يلاحظ أنها مولودة مع كذبة (ابريل) ..

كانت الريح تعصف بالخارج .. وقطرات المطر تصطدم بزجاج النافذة .. وكان (بول) مفتونـا غارقًا فى (شارع الذكريات) ..

الصفحة الثالثة كانت تظهر قصاصة جريدة .. فى أعلاها صورة لرجل مطافئ على سلم يحاول إطفاء حريق ، والخبر يقول :

خمسة يموتون فى حريق منزل

لقى خمسة أشخاص - أربعة منهـم من أسرة واحـدة - مصرعهم فى حريق مروع صباح الأربعاء فى شارع (واتش هيل) . منهم ثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين الثالثة والثامنة ومعهم أبوهم . ويعتقد أن الحريق بدأ من شقة فى الطابق الثالث كان ساكنها (كارل ويلكز) وأسرته قد غادروها منذ أيام بسبب تصدعات فى جدرانها . وتقول السيدة (كريسلدا ويلكز) زوجته إنها حزينة على مصرع جيرانها لكن تحمد الله على نجاة أسرتها هى وطفليها . ويعتقد رجال الشرطة أن سبب الحريق هو تسلل سكير إلى الشقة حيث تسبب فى إشعال النار بعقب سيجارة .

(أكتوبر - ١٩٥٤)

شعر (بول) بأمعائه تتقلص .. لماذا احتفظت (آنى) بالخبر ؟.. لقد كانت مجرد طفلة فى الحادية عشرة من عمرها .. ولكن .. لا يمكن أن .....

فى الصفحة الرابعة وجد (بول) خبرًا آخر بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٦٢

> **طالبة تمريض تلقى مصرعها فى حادث**
>
> توفيت أمس (أندريا سانت جيمس) طالبة التمريض إثر نقلها إلى مستشفى (المواساة) فى (لوس أنجلز) .. وتقول زميلتها فى المسكن طالبة التمريض (آن ويلكز) إنها فى الحادية عشرة مساء سمعت صرخة فهرعت من غرفتها لتجد الآنسة (أندريا) وقد سقطت من على درجات السلم ولقيت مصرعها . وقد اتضح لها أنها تعثرت فى جثة قطهما الأليف المكومة عند أعلى درجة من السلم . وقد عجزت مس (ويلكز) عن تفسير سبب موت القط .

ـ « يا للسماء ! » .

همس (بول) فى سره وارتجفت يداه .. لكنه واصل تقليب الصفحات .. الأمر واضح تمامًا .. أنت يا (آني) سممت القط ووضعت جثته فى موضعها عالمة بأن (أندريا) ستهبط الدرجات فى الظلام .. وستتعثر ..

إنها جريمة كاملة يا (آنى) ولكن لماذا ؟..

كان قد عوّد جزءًا من عقله على أن يفكر ويتكلم مثل (آنى) .. لهذا سأل هذا الجزء فشرع يجيب بالإجابات المتوقعة من (آنى) :

- « قتلتها لأنها ترفع صوت المذياع ليلًا .. » .

- « قتلتها بسبب الاسم السخيف الذى أسمت به القط .. » .

- « قتلتها لأننى أدركت أنها تغش فى اللعب » .

- « قتلتها لأنها كانت شؤم و (مقرفة) وتحب (العك) .. وهذا سبب كافٍ جدًا فى رأيى » .

أضاف (بول) إلى الإجابات :

- « أو ربّما لأنها (تعط) كثيرًا .. » .

وانفجر فى ضحكة عصبية هستيرية .. أية زهور مسمومة زرعتها (آنى) على جوانب شارع الذكريات هذا !..

لقد كانت بارعة حقًا .. وحتمًا ستدفع ثمن جرائمها ، لكن هذا لن يعزيه فى شىء إذا ما كان قتل (بول شيلدون) هو آخر جريمة لها ..

بعد هذا نجد صورة تخرّج (آنى) كممرضة مؤهلة بتاريخ ١٩٦٦

فى الصفحة التالية وجد نعيًا لرجل اسمه (ارنست جوينار) فى الثانية والسبعين من العمر توفى فى مارس ١٩٦٩ ..، ما علاقة هذا بـ (آنى) ؟.. ولكن .. ألا تفهم يا (بول) ؟.. هى قتلته !.. هذا هو المبرر الوحيد لوجود نعيه فى هذا الكتاب .. أليس هذا هو (سجل قتلى (آنى) ؟!

وفى الصفحة التالية وجد نعى سيدة اسمها (هستر بوليفان) توفيت فى مارس ١٩٦٩ أيضًا .. وفى نفس المستشفى .. مستشفى (سان جوزيف) ..

مزيد من الصور فى الصفحات التالية .. وكلها لأشخاص ماتوا فى نفس المكان (بعد صراع طويل مع المرض) ..

لقد فهمت .. لا داعى للمزيد .. هذا الكتاب سميك حقًا .. سأتركه حيث وجدته وأدخل إلى غرفة النوم وآخذ كبسولتين وأنعم بنوم هادئ .. أرجوك دع الكتاب .. دعه !..

لكن يديه كانتا تتصرفان وكأن لهما عقلًا وإرادة خاصين بهما ..، لم تصغيا لتوسلاته وواصلتا تقليب الصفحات ..

صورة لالتحاق ممرضة جديدة - هى (آنى) طبعًا - بمستشفى (ريفرفيو) .. وبعدها بدأت الوفيات تنهمر على المستشفى البائس.. وكلهم ماتوا بعد هذا (الصراع الطويل مع المرض) حتى كأنه وباء ..

حسنٌ.. لقد قتلت زميلة غرفتها لأنها (مقرفة) ولكن ماذا عن هؤلاء؟.. كان الجزء الخاص بـ (آنى) فى عقله يعرف الإجابة .. هى قتلتهم لأنهم مرضى وطاعنون فى السن.. مجرد فئران فى مصيدة تحسب أنها ترغب فى الحياة ..!..

★ ★ ★

« يا لها من مخلوقات بائسة .. بائسة ..! » .

★ ★ ★

فى الصفحات التالية تحركت (آنى) من (هارسبورج) إلى (بتسبورج) إلى (دولوث) إلى (فارجو) إلى (دنفر)، وفى كل مرة يتكرر السيناريو .. تهنئة بانضمامها إلى هيئة التمريض، ثم عدة صفحات نعى لأشخاص كان عندهم موعد فى (سمارة)(★).. ثم..

هل هذا هو صوت سيارة..؟ كلا .. بل هى الريح .. بالتأكيد الريح ..

(★) يشير الكاتب إلى قصة (سومرست موم) : (موعد فى سمارة عن الرجل الذى هرب من الموت قاصدًا (سمارة).. وهناك وجد الموت ينتظره .

العام ١٩٩٢ تهنئة لـ (آنى) بمناسبة تسلمها لوظيفة رئيسة تمريض لحضانة أطفال.. ثم بدأت وفيات الأطفال تتهمر.. من الواضح أنها بدأت تراهم (مخلوقات بائسة..بائسة).. لكن هذا الوضع لايمكن أن يمرّ بسهولة.. كانت فى البداية تقتل الشيوخ الذين لا تثير وفاتهم الريبة .. أما الآن ....

التحقيق مع رئيسة تمريض فى حوادث وفاة الأطفال حديثى الولادة مصدر بالشرطة : نحن لم نوجه أية تهمة بعد يتم الآن استجواب (آنى ويلكز) رئيسة التمريض فى مستشفى (بولدر) (٣٩ سنة) فى وفاة ثمانية من الأطفال حديثى الولادة فى غضون شهور. والجدير بالذكر أن جميع الوفيات تمت فى ساعات ورديتها. وقد صرح مصدر بالشرطة بأن التحقيقات جارية لكنهم لم يوجهوا لها أية تهمة حتى الآن.

بعد هذا جاءت عدة صفحات تحوى أخبار التحقيق معها .. ثم قصاصات تحوى رسائل القراء وكلها تجمع على أن (آنى ويلكز) يجب أن تشنق وأن تجلد بسوط مشتعل.. بل إن الاسم الذى ألصقوه بها كان هو (المرأة التنين) .. كلها أسباب كافية جدًا لأن تعتبر (آنى) الجنس البشرى كله جنسًا من الفئران ..

كانت هناك أنباء عن المحاكمة لكن لم تكن هناك أدلة معينة سوى ثرثرة (آنى) فى محاولتها الدفاع عن نفسها .. كانت ترتكب أغلاطًا قاتلة حتى لتكاد تعترف، ولابد أن محاميها كان على وشك إطلاق الرصاص عليها ليخرسها ..

ثم فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٣ تتصدر الجريدة العناوين التالية :

> **المرأة التنين بريئة !**
>
> أصدرت المحكمة أمس حكمها ببراءة (آنى ويلكز) من تهمة قتل الأطفال الموجهة إليها . وقد صرح أحد المحلفين الذى طلب عدم ذكر اسمه أنه يشك كثيرًا فى براءتها إلا أنه كذلك لا يملك أدلة تدينها . وقال إنه يأمل فى إعادة محاكمتها على أن يقوى الإدعاء جانبه فى هذه المرة .

لقد فرت من بين أصابعهم !.. كلهم عرفوا أنها مذنبة لكنهم لم يستطيعوا إثبات ذلك .. على كل حال لقد أوشك الملف على الانتهاء ...

وهنا فوجئ بصورته على الصفحة الأخيرة !.. خيل إليه للحظة أن هذا هو نعيه ثم بدأ يفطن إلى أنه لم يمت بعد .. على الأقل حتى الآن :

كان الخبر مقصوصًا من جريدة (نيوزويك) .. يقول :

مفقود : (بول شيلدون) ٤٢ سنة .. كاتب قصصى اشتهر بسلسلته التى لا تنتهى كفقاقيع الصابون : (ميزرى) . يبحث عنه وكيل أعماله وزوجتاه السابقتان . شوهد آخر مرة فى (بولدر) بولاية (كلورادو) حيث ذهب لكتابة عمل جديد .

بعد أن فرغ (بول) من القراءة؛ أحس بحاجة ماسة ليس للدواء فحسب بل للرحيل بعيدًا عن كل شىء .. كان كل جزء فى جسده وروحه يتألم .. وفى تثاقل أعاد الكتاب لموضعه وبدأ يحرك المقعد إلى غرفة النوم مصغيًا لهزيم الرعد وصوت الأمطار .

لن تهرب يا (بول) ولن ينقذك أحد .. إن الفارس المقنع مشغول الآن فى الإعلانات التليفزيونية و (سوبرمان) يمثل أفلامًا سينمائية .. أنت وحيد يا (بول) .. بلا سند ولا صديق .. لو أنك أردت الفرار من هنا فلا مفر من قتل (آنى) !.. لا حل آخر !.. وهأنتذا تعود إلى اللعبة القديمة : هل تستطيع ؟..

نعم .. نعم .. أستطيع ....

★ ★ ★

ظلت العاصفة مستمرة طيلة اليوم التالى ..

تجمد العالم الخارجى تمامًا .. وكانت الخنزيرة (ميزرى) تصرخ والأبقار تخور في الحظيرة .. لم يحتج أن يكون فلاحًا ليعرف السبب .. الأبقار انتفخت ضروعها وتريد أن تُحلب .. أما الخنزيرة فتتضور جوعًا ..

لا أمل لهذه الحيوانات العجماء اليوم .. فـ (آنى) لن تستطيع العودة في هذه العاصفة حتى لو أرادت .. شعر بحقد عات على (آنى) التى تعذب بأنانيتها هذه الأكباد الرطبة ..

أما عنه هو فقد كان يعيش أسعد أيامه .. يأكل السردين ويشرب الماء ويتناول الدواء ويكمل قصة (ميزرى) التى - لدهشته - بدأت تسفر عن أفضل ما كتبه فى حياته .. كانت (ميزرى) - بعد شفائها - توشك على السفر إلى (إفريقيا) مع (إيان) إلى حيث توجد قبيلة متوحشة اسمها (البوركاس) أو (قبيلة النحل) .. وهم يعبدون صنمًا عملاقًا يسمونه ملكة النحل تحوم حوله ملايين من الحشرات - النحل الأبيض - تلدغ من يدنو من ملكتها بسمّ زعاف .. وبالطبع لم يعد أحد حيًا من هذا المكان كما هى العادة .. وحين يفرغ من الكتابة كان يضع الخطط التى يقتل بها المرأة التنين .. يستطيع مثلًا أن يدسّ لها عدة

كبسولات (نوفريل) فى علبة من الآيس كريم وما إن تتناولـه حتى تغيب عن الوعــى .. ولكــن لا .. إن الـ(نوفريل) مرّ المذاق .. وستتعرف طعمـه حتمًا .. عندئذ .. الويل لك يا (بول) !.. الويل لك ..

فكر كذلك فى وضع جسم ثقيل - كالآلة الكاتبة - على الباب من أعلى ليهوى فوق رأس (آنى) عندما تدخل، أو فى مدّ سلك رفيع عبر درجات السلم لتتعثر فيه .. لكنه فى كل مرة لم يكن واثقًا بأنه سينجح .. وهو لا يجرؤ على التفكير فيما يمكن أن يحدث له بعد فشله فى محاولة اغتيالها ..

وهكذا أغمض عينيه وغرق فى عالم النعاس ..

غرق فيه إلى حدّ أنـه لم يدر متى عادت السيارة الشيروكى حاملة (آنى)، كان ذلك فى الرابعة صباحًا .. ولم يدر أنها دخلت الغرفة ووقفت تتأمله .. لم يدر سوى بوخزة الإبرة حين غرستها فى ذراعه ..





ولم يدر أنها دخلت الغرفة ووقفت تتأمله .. لم يدرى سوى بوخزة الإبرة حين غرستها فى ذراعه ..

٦ ـ العقـاب ..

فى البدء حسب أنه يحلم بعوالم قصته .. وأن الظلام هو ظلام الكهوف التى يعيش فيها الـ (بوركاس) .. وأن الوخزة هى لدغة نحلة ..

ـ « (بول) ؟ » .

عندئذ فهم أن هذا هو صوت (آنى) نفسها .. ففتح عينيه .. كان عاجزًا عن استجماع تفكيره .. واقفة جواره ترتدى السويتر الصوفى حاملة محقنًا .. لقد حقنه الصنم .. ولكن بماذا ؟..

حاول أن يرفع ذراعيه دون جدوى .. كأن هناك أثقالًا تتدلى منهما .. لا يهم أن تعرف ما حقنتك به .. أنه نوع من كلمة (النهاية) التى تختم بها قصصك .. لم يشعر بذعر من أى نوع .. لقد فعلتها أخيرًا ..

سمع (آنى) تهتف :

ـ « عيناك الزرقاوان يا (بول) .. ما أجملهما !.. أظن أن نساء كثيرات قلن لك ذات الشىء .. نساء أكثر جمالًا منى .. وأكثر جرأة ! » .

وجلست على طرف الفراش ترمقه وتبتسم ..

آه يا (بول) !.. إنها نهاية آلامك .. كل حياتك كانت تمهيدًا لهذه اللحظة .. والآن سيثقل جفناك وتغوص في غيبوبة عميقة .. علبة ثقاب .. سيارات سريعة .. (ميزرى) .. ملكة النحل .....

سألت (آنى) :

- « والآن يا (بول) .. هل تريد الأخبار الطيبة أم السيئة أولًا ؟ » .

- « الأنباء الطيبة أولًا .. للأسف أعتقد يا (آنى) أنك لم تحبى الكتاب .. » .

- « بالعكس .. أنا لا أكذب أبدًا وقد قلت لك إننى أهيم به .. وسأنتظر نهايته فى شوق .. » .

كان الجزء الأخير الباقى حيًا فى عقله يفكر .. معنى هذا أنها لن تقتلك الآن كما تصورت .. وإذا كان فهمك لـ (آنى) سليمًا فإن هذا يعنى أنها أعدت لك مفاجأة أسوأ من الموت !..

قالت (آنى) مبتسمة :

- « الأخبار الطيبة هى أن سيارتك قد ذهبت .. كنت قلقة بشأنها وكيف أتخلص منها .. وكنت انتظر عاصفة كهذه كى أحاول إخفاءها .. لكن العاصفة كانت أشد من توقعاتى .. وحدث انهيار جليدى أخفى كل أثر لها .. لقد اختفت سيارتك تمامًا وهذا هو النبأ الطيب ! » .

وابتسمت ابتسامة أكثر قسوة وأردفت :

ـ « أنت تعرف من مذكراتى أننى لم أحاول إخفاء جثة ولا سيارة من قبل !.. لا تتظاهر بالسذاجة يا (بول) .. أنت قرأت (شارع الذكريات) .. ومن يدرى ؟.. أظن أننى كنت أتمنى ذلك .. وقد أدركت أنك قرأته حين وجدت الخيوط ممزقة ! » .

همس فى إعياء :

ـ « خيوط ؟! » .

ـ « نعم .. الحيلة القديمة .. إذا أردت أن تعرف ما إذا كان هناك من يعبث بأدراجك فعليك أن تثبت خيطًا رفيعًا على كل درج .. فإذا ما وجدت الخيط مقطوعًا اتضح الأمر .. وقد فعلت نفس الشىء مع كتابى مستعملة شعيرات دقيقة من رأسى ثبتتها فى ثلاثة مواضع ، وحين عدت فجر اليوم زحفت كفأر صغير لأرى .. فوجدت الخيوط كلها مُمَزقة .. » .

وابتسمت ابتسامة مظفرة بها شىء ما لم يرتح إليه .. وأردفت :

ـ « لم أندهش لأننى أعرف جيدًا أنك تغادر الحجرة .. أعرف هذا منذ زمن بعيد .. بعيد ! » .

لم يثر كلامها اهتمامه .. بل إنه لم يعد يشعر بذرة قلق .. كل ما يريده هو أن يذوب فى ضوء النهار الصافى الذى بدأ يغمر الحجرة .. لقد كانت تعرف كل شىء من البداية ...

- « كانت المرة الأولى عندما تركتك حانقة لأحضر الأوراق .. أليس كذلك ؟ » .

- « بلى يا (آنى) .. » .

لم تكن هناك فائدة من الإنكار ..

- « كنت تريد الدواء .. وكان ينبغى أن أخمن أنك ستفعل أى شىء من أجله .. لم أكن واثقة فى البداية .. خيل لى أن هناك أشياء تغير موضعها على المنضدة فى قاعة الجلوس .. ثم قلت لنفسى إن هذا مستحيل .. فأنت مصاب والباب موصد بعناية إذن لابد أننى من فعل هذا ونسيت ..، إلا أننى دخلت الحمام المجاور لغرفتك لأعيد تأمل عينات الدواء التى اختلستها من المستشفيات حينما كنت ممرضة ، فما إن رأيتها حتى أدركت أن محتوياتها تحركت من أماكنها .. وعندما حاولت فتح باب حجرتك خيل إلىّ أن شيئًا يعوق حركة لسان القفل من الداخل .. لهذا - فى المساء - أعطيتك منومًا قويًا .. وأحضرت مفكًا فككت به القفل فوجدت به هذا ... » .

كان الجزء الملتوى من دبوس الشعر على كفها .. الدبوس الذى تحطم داخل القفل وعجز (بول) عن إخراجه ..

انفجر (بول) يقهقه فى هستيريا ..

كل هذا الحذر .. والقلق .. والتوتر من أجل لاشىء .. شىء مضحك !..

★ ★ ★

ـ « كم مرة غادرت فيها الحجرة يا (بول) ؟ » .

ـ « مرتين .. لا .. بل ثلاثًا .. أمس غادرت الحجرة لأملأ دورق الماء من المطبخ .. » .

ـ « قل الحقيقة يا (بول) ..

ـ « ثلاثًا وأقسم على هذا ولم أحاول الهرب قط .. إننى أرغب حقًا فى إتمام الكتاب .: » .

كان صادقًا بخصوص عدد المرات .. لكنه ـ فى المرة الثالثة ـ لم يذهب للمطبخ بغرض ملء دورق الماء .. بل لإحضار سكين كبير يخفيه تحت المرتبة منتظرًا اللحظة الملائمة التى تنحنى فيها على فراشه كى ....

ـ « وتحاول إقناعى بأنك لم تجرب الهاتف ولم تتفحص الأقفال لأنك ولد طيب برىء .. هه ؟ » .

كانت أمواج المخدر تتزايد .. وإرادته تتخلى عنه .. من الواضح أنه سيقول الحقيقة مرغمًا .. فقط لتتركه ينعس قليلًا ...

- « أنت تحسبنى حمقاء يا طائر الشؤم ..! » .

لم تكن هناك مسام فى جلدها اللامع .. كأنه غطاء من شمع مشدود فوق صخرة .. أقسم لك يا (آنى) - يا صنم الـ (بوركاس) - إننى صادق ..

- « كل الكذابين يحبون أن يقسموا !.. استمر فى كذبك .. دعنى أصارحك يا أبله بأننى شددت خيوطًا فى كل مكان من المنزل .. وقد وجدتها كلها ممزقة !.. فى الصالة .. فى غرفة نومى بالطابق العلوى .. فى الحديقة .. كلها ! » .

كيف تتصور هذه المرأة أنك قادر على الصعود للطابق العلوى أو الخروج للحديقة ؟.. إنها مخبولة تمامًا .. حالة (بارانويا) متقدمة ..

- « إننى لست عمياء .. إن قدميك تتحسنان .. وبإمكانك الآن أن تمشى أو على أقل تقدير تزحف .. قل لى كم مرة ؟! » .

- « ثلاثًا ... » .

- « أول مرة للحصول على (نوفريل) .. والثانية من أجل الطعام ..؟ » .

ـ « نعم ... » .
ـ « والثالثة لتملأ دورق الماء ..؟ » .
ثم إنها مدّت يدها إلى جيب مريولتها وأخرجت السكين !..
كان النصل يلتمع فى ضوء النهار بوضوح تام..
ـ « لقد بحثت تحت المرتبة بعناية قبل أن أعطيك حقنة التحضير .. ففوجئت بالسكين !.. ستزعم طبعًا أنك لم تضعه هناك ؟ » .
كان ذهنه يدور ويحلق كأرجوحة محطمة .. حقنة تحضير ؟.. لماذا ؟!
ـ « ستزعم لى أنك خرجت مرة من أجل الدواء ومرة من أجل الطعام ومرة من أجل الماء .. أما هذه السكين فطارت إلى هنا وأخفت نفسها !.. » .
حقنة تحضير ؟.. يا إلهى .. هل هذا ما قالته ؟..
صرخ فى هستيريا :
ـ « ليكن !.. إذا أردت أن أعترف بمغادرتى الغرفة خمس مرات فليكن .. خرجت خمس مرات .. إذا أردت عشرين .. مائة .. فليكن !.. » .
ردّت عليه فى هدوء :
ـ « إنك عنيد يا (بول) .. لكن دعنى أقل لك إن المبدأ لايتغير سواء خرجت مرة أو مرتين أو ثلاثًا .. وكذلك الاستجابة لاتتغير .. » .

كان صوتها يأتيه من بعيد .. من فوق السحب .. وفى داخله أيقن أنها صنم الـ (بوركاس) يتحدث إليه من وراء الطبيعة ..

- « هل سمعت عن الأيام الخوالى فى مناجم الماس بـ(كيمبرلى) يا (بول) ؟ » .

- « .... » .

- « أحيانًا كان بعض العمال يسرقون الماس .. ويحاولون الفرار ، وهل تعلم كيف كانت السلطات البريطانية تتصرف إذا ما ألقت القبض عليهم ؟ » .

قال وعيناه مغلقتان :

- « تقتلهم على ما أظن ؟ » .

- « كلّا !.. هذا يشبه تحطيم سيارة غالية لأن بها بابًا مكسورًا .. كانوا يحاولون المحافظة على قدرتهم الإنتاجية وفى نفس الوقت يحاولون منعهم من الهرب مرة أخرى !.. وهذا هو ما أنوى عمله معك يا (بول) .. هذا لمصلحتك ومصلحتى على السواء .. مجرد ألم بسيط ثم ينتهى كل شىء ! » .

مدت يدها تخرج شيئًا من تحت الفراش ...

كان هذا الشىء فأسًا ...

★ ★ ★

هزّ (بول) الآلة الكاتبة فى عصبية فتدحرجت منها قطعة معدنية صغيرة على اللوح الخشبى .. كان هذا هو الحرف (ت) ...

فكر فى ضيق: يجب أن أشتكى للإدارة!.. لم لا تشترى لى هذه المرأة آلة كاتبة جديدة؟!.. أنا واثق أن لديها المال.. لقد فقدت حرف (ت) يا إلهى.. ثانى الحروف أهمية فى اللغة الإنجليزية!..

لكنه - في أعماقه - كان يعرف أنه لن يجرؤ على طلب شىء من (آنى) .. كان هناك فى الماضى السحيق رجل يدعى (بول شيلدون) .. هذا الرجل كان يملك الجرأة على المحاولة .. على تحدى (آنى)..

لقد ولى هذا الرجل بعيدًا .. كانت له مزيتان هامتان يتفوق بهما على (بول) الحالى .. كانت له قدمان .. وكان له فى يديه إبهامان ..!

غد للعمل يا صديقى ..

لا تحاول استفزازها ..

كان النحل يئز خارج النافذة .. فهذا هو أول أيام الصيف..

★ ★ ★

- لماذا لم يستطع نسيان ما حدث له ؟

كان يعرف دائمًا أن ضحايا حوادث السيارات يرددون دومًا عبارة واحدة : أذكر أنني كنت فى السيارة ثم وجدت نفسى فى المستشفى .. كل ما عدا ذلك قد انمحى من ذاكرتى تمامًا ..

إذن .. لماذا لا ينسى هو ؟..

لأنه كاتب .. والكتّاب لا ينسون شيئًا .. « الأدب هو خلود الذكريات » .. ترى من قائل هذه العبارة ؟.. ربّما (فوكنر) أو (زاس) .. لا يهم ..

فقط .. غُصْ فى السحابة .. غُصْ ..

يومها ـ فى الكلية ـ اتصلت به أمه فى الثالثة صباحًا لتصرخ : تعال بأسرع ما تستطيع يا (بول) .. إن أباك قد أصيب بنوبة .. إنه يغوص !.. يذكر رحلته الملهوفة فى الشوارع بسيارته الفورد ليجد أباه قد كفّ عن الغوص .. لقد غرق فى بحر الذين لا يعودون ....

غُصْ فى السحابة .. غُصْ .. أصوات طبول قبائل الـ (بوركاس) وأزيز النحل والصنم الذى يرمق الجميع بعين حازمة .. (آنى) تشبه الصنم ..

كانت تعنى به بسخاء .. وتبدل الضمادات حول أطرافه المبتورة كل ثمانى ساعات .. ولم يكن يعرف أنه اقترب كثيرًا من الموت فى الأيام الأولى من (الجراحة) .. وأن (آنى) كانت مذعورة بحق ..

كانت قد قرأت الثلاثمائة صفحة التى كتبهـا قبل الجراحة .. وبيد ثابتة استكملت له كل حروف الـ (ن) الناقصة .. كأنها تقول له : كيف تتهمنى بالقسوة يا (بول) فى حين ترى أننى كتبت لك كل حروف النون الناقصة ؟!

من العجيب أنه - فى أسوأ لحظات المرض - ظلّ يتوق إلى النهوض لاستكمال القصة .. كان يجنّ كى يعرف ما ستنتهى إليه الأحداث ..

ظلت فى ذهنه صورة المشهد الأخير من القصة .. (ميزرى) مقيدة إلى شجرة تحتشد على جسدها ملايين مؤلفة من النحل، فى حين يقف (أيان) عاجزًا عن التصرف .. لا يمكن أن يحدث صخبًا وإلا لدغها النحل ..، طبول الـ (بوركا) تدق بنغم رتيب .. وهو يعرف جيدًا أنه حين تكف الطبول عن الدق سيلدغ النحل (ميزرى) ...

وهنا تصمت الطبول ...

كان راغبًا في معرفة النهاية .

وكذا كانت (آنى) ...

إنه يلعب دور (شهر زاد) لكليهما، عالمًا أن قصته هى الشىء الوحيد الذى يمنعها من قتله وقتل نفسها ...

وفى ذلك اليوم كان غارقًا فى دوامة آلامه وأفكاره حتى أنه لم ير الشىء الذى توقف فى الفناء الخلفى قرب سيارة (آنى) ..

وحين رآه فكر فى البداية أنه شبح أو سراب ..
كان ذلك الشيء سيارة شرطة ...

★ ★ ★

اصرخ عليك اللعنة !.. اصرخ !..
حاول أن يفتح فاه لكن الذعر كان أقوى منه .
حاول أن يرفع يديه لكنه لم يجرؤ حتى لاتغضب ماما (آنى) منه ..
كانت كل سيطرته على مصيره هى صوت أنين من بين شفتيه وبضع ضربات خرقاء على جانبى الآلة الكاتبة ..
لم تستمر المعاناة سوى خمس ثوان لكنها بالنسبة لـ (بول) استمرت دهورًا .. كان خلاصه هناك .. فى ضوء النهار ، وكل ما عليه هو أن يهشم الزجاج ويحطم القفل الذى وضعته الشيطانة على لسانه .. ويصرخ :
ـ « الغوث !.. أغثنى من (آنى) !.. أغثنى من الصنم ! » .
لكن ـ فى ذات الوقت ـ كان صوت آخر يردد داخله :
ـ « سأكون ولدًا طيبًا يا (آنى) .. لن أصرخ .. سأكون طيبًا .. فقط لاتقطعى جزءًا آخر من جسدى ! » .
لم يدر قبل الآن إلى أية درجة استطاعت (آنى) أن تدمر شجاعته وشخصيته .. كان يعرف أنه يموت ببطء ولم يثر هذا قلقه .. ما أثار قلقه هو إدراكه أنه (يبهت) كذلك .. ببطء يفقد كل سماته المميزة وكل لون له ..

كان الشرطي يغلق باب سيارته ويهندم قبعته .. شاب في الثانية والعشرين من عمره يرتدي منظارًا أسود براقًا ، ثم إنه توقف ليسوّي تجاعيد زيه الخاكي اللون ..

لن تصرخ يا (بول) .. بل اصرخ .. كلّا .. لاتصرخ .. اصرخ !..

لا .. هذا الشرطي الطفل لايقدر على مواجهة صنم لـ (بورحاس) .. مستحيل .. هو ذا الشرطي يرنو للبيت .. لم يكن (بول) قادرًا على رؤية عينيه خلف المنظار الأسود لكنه أدرك من الطريقة التي أمال بها رأسه أنه مندهش إلى حدّ ما .. هو ذا يقترب .. يتصلب ..

مدّ (بول) يده إلى مطفأة سجاير ثقيلة موضوعة جوار الآلة الكاتبة كان يضع فيها دبابيس الورق .. أمسكها وقذف بها نحو النافذة .. تهشم الزجاج .. صوته العالي بدا لـ (بول) وكأن العالم كله يتهشم ..

ـ « الغوث !.. هلم ها هنا !.. احترس من المرأة !.. إنها مجنونة ! » ..

رفع الشرطي عينيه نحوه وفغر فاه ..

مدّ يده لجيبه وأخرج شيئًا لابد أنه صورة فوتوغرافية .. نظر لها ونظر نحو (بول) .. ثم صاح :

ـ « اللعنة !.. إنه هو ! » .

كانت هذه آخر ثلاث كلمات سمعها (بول) من الشرطي .. بل آخر ثلاث كلمات لفظها الشرطي في حياته ..

★ ★ ★



امسكها وقذف بها نحو النافذة .. تهشم الزجاج .. صوته العالى
بدا لـ (بول) وكأن العالم كله يتهشم ..

٧ ـ الكابوس ..

لم ير (بول) (آنى) إلا بعد فوات الأوان ..

وحين رآها كانت قد تحولت إلى صنم حقيقى .. إلى وحش خرافى من الأساطير الإغريقية ..

كانت تحمل فى يدها عصا معدنية ثقيلة تصوبها إلى ظهر الشرطى ..

ـ « خلفك !.. احترس ! » .

صرخ (بول) عالمًا أنه قد تأخر كثيرًا ..

وفى الثانية التالية هوت (آنى) على رأس الشرطى بالعصا المعدنية فسقط أرضًا .. بدت (آنى) كأنها تحاول قتل مصاص دماء فى أحد أفلام الرعب ..

ـ « (آنى) !.. كفى ! » .

صرخ (بول) متوسلًا فرفعت عينيها نحوه .. شعرها منتثر حول وجهها .. وعلى سحنتها ملامح مجنون لفظ أخيرًا كل القيود ..

★ ★ ★

أغمض (بول) عينيه وأدرك أنه لم يبق أمامه من خيار سوى أن يقتل نفسه .. نعم .. هذا هو الحلّ الوحيد الباقى له كى ينجو من غضبها ..

سمعها تفتح باب غرفته، ورأى حذائى رعاة البقر اللذين ترتديهما .. والسروال الجينز الذى تلطخ بالدماء تتدلى سلسلة المفاتيح من حزامه ..

همست فى غلّ :

- « سأتصرف معك فيما بعد ...! » .

وأعادت إغلاق الباب وسمع المفتاح يدور فيه محكمًا حصار (بول) ..

نظر من النافذة إلى المشهد .. بدا له جسد الشرطى كدمية كبيرة عبث بها مجموعة من الأطفال القساة .. شعور عات من الشفقة يمزق فؤاده لكن شعورًا آخر يخالطه : الحسد !.. على الأقل لقد أفلت هذا الشرطى البائس من (آنى ويلكز) !..

كانت منهمكة فى نقل الجثة وتنظيف الفناء من آثار الدماء وقد لوث العرق قميصها، ثم إنها عادت إليه حاملة شيئًا ما .. مطفأة السجائر التى رماها من النافذة .. قالت له فى انهماك ..

- « ها هى ذى يا (بول) .. سأجمع دبابيس الورق فيما بعد .. » .

ثم نظرت له نظرة ذات معنى :

- « أنت تعرف أننى لم أقتله .. » .

- « (آنى) ... » .

- « أنت من فعل هذا .. لو أنك التزمت الصمت لكان حيًا وعائدًا لأولاده الآن ولما ترك لى كل هذه القذارة (المقرفة) لأنظفها ! » .

احتشدت السبّة على شفتيه فلم يستطع منعها :

- « أيتها الذئبة !! » .

ابتسمت فى رقة .. وغمغمت :

- « ذئبة مجنونة .. أليس هذا ما تريد قوله ؟ .. حسن .. سنتحدث عن هذا فيما بعد .. سنتحدث كثيرًا .. أما الآن فأنا مشغولة تمامًا كما ترى .. » .

وتركته إلى حيث مسرح الحادث لتعكف على تنظيف الدماء بخرطوم مياه ..

كانت الساعة تدنو من السادسة مساء حين قادت سيارة الشرطة لتخفيها فى الجرن .. فكر (بول) : إن لها حظ الشيطان .. ولها براعته .. انما شيطانة حقيقية ... وحين سمع صوت كعبيها يقتربان من الباب .. وإذ سمع صوت المفتاح يدور فى القفل ؛ قال لنفسه : لقد جاء دورى ..

وفى أعماقه شعر بإحساس عميق من الخلاص ....



كانت قد ارتدت ثيابًا نظيفة وعلى كتفها تتدلى حقيبة كبيرة خاكية اللون .. قال لها في إنهاك :

- « حسن يا (آنى) .. لقد انتهت اللعبة .. اقتليني ولكن بسرعة .. » .

- « إن مصلحتى هى قتلك .. لكنى مجنونة - ألست كذلك ؟ - ولهذا لا أفعل ما يتعلق بمصلحتى .. سأتركك حيًا يا (بول) .. » .

كانت أشعة الشمس الذهبية تنحدر داخل الحجرة على حين بدأ صوت صراصير الحقول يتعالى من بعيد .. الصوت الذى كنت تحبه وأنت طفل حرّ لم يؤذه أحد ولم يتلوث .. كاد يبكى من فرط التأثر ..

أحس بها تدفع المقعد خارجة من الحجرة .. متجهة إلى بدروم المنزل .. نظر إلى وجهها فرأى أنها - بعد قتلها الشرطى - قد عادت إلى التعقل قليلًا وإن بدت متعجلة كأنها امرأة تعدّ العشاء لمأدبة فى دارها ..

ثم إنها أخبرته بأن عليه أن يتعلق بعنقها من الخلف لأنها ستنزل به درجات السلم :

- « لا تحاول أن تعمل عملًا أحمق يا (بول) كأن تحاول خنقى .. لقد تلقيت درس (كاراتى) وكنت بارعة جدًا فيه ! » .

نهض (بول) متحاملًا على قدميه الهزيلتين، أو ما تبقى منهما .. وتعلق بعنقها، فحملته على ظهرها نازلة الدرجات .. ثلاثة مصابيح خافتة ونسيج عناكب قديم ورائحة عطن ورطوبة .. رائحة العرق المنبعثة من إبطيها مع رائحة قذارة لم تعرف الصابون منذ دهور .. ثمة شمع أسود يسدّ أذنها فلا تعرف كيف تستطيع السمع .. أخيرًا وصلا للبدروم ..

وعلى مرتبة قديمة أنزلته .. ثم مدّت يدها للحقيبة وأخرجت .. إبرة ومحقنًا ..!

- « لا ! » .

صرخ متوسلًا متوقعًا ما سيحدث بعد ذلك - مثل ذلك اليوم - لكنها طمأنته :

- « لا تخف يا (بول) .. إن هذا (سكوبولامين) وهو من مشتقات المورفين .. أعددتها لك فى حالة ما إذا اشتد بك الألم بسبب الرطوبة قبل أن أعود إليك .. » .

وتركته بضع دقائق ثم عادت إليه بوسادتين وبطانيتين و .. بعض علب المياه الغازية، ونسقت له الفراش ثم فتحت له علبة ولها علبة ..

- « (بورب) ! » - تجشأت بعد أن فرغت من علبتها - « والآن يا (بول) حان وقت الكلام ! » .

ـ « (آنى) .. حين شتمتك لم أكن .... » .
ـ « شش !.. ولا كلمة !.. إن السيد عبقرى على حق دائمًا ولا يحق لأحد أن يحاول تبديل أفكاره .. دعنا من هذا ولنتكلم فى موضوعات جدية .. لو أن أحدًا لم يأت للبحث عن هذا الشرطى خلال ساعة سنكون فى أمان لأن الظلام سيحل بعد ساعة .. أما لو جاء أحد قبل ذلك ... » .
ومدت يدها إلى الحقيبة وأخرجت مسدس الشرطى الذى قتلته .. وأردفت :
ـ « عندئذ .. هناك هذا لمن يجىء .. ثم يأتى دورك .. فدورى .. » .

★ ★ ★

كان عليها ـ حين يحل الظلام ـ أن تقود سيارة الشرطة أربعة أميال إلى مكان يصلح لإخفائها .. ثم تعود بالدراجة التى ستضعها فى مقعد السيارة الخلفى برغم أنها واثقة بأن هناك احتمالًا لا بأس به فى أن تسقط ويتحطم عنقها (المقرف) ..
أدرك (بول) أن هذا لو حدث فلن يبقى أمامه سوى أن يموت جوعًا وظمأ .. ثم تلتهم الفئران جثته .. الفئران التى بدأت من الآن تتحرش بهذا الزائر الذى يمشى على قدمين ..
كان البدروم محكم الإقفال بالمزاليج والأقفال مستحيلة الفتح ..

وبدأت (آنى) تشرح خطتها لـ (بول) ، ستوارى جثة الشرطى التراب ثم تعود .. ولئن سألها أحدهم عن المكان الذى ذهبت إليه فى هذه الليلة ستقول إنها ذهبت لترى معرض السيراميك فى مدينة مجاورة اسمها (ستيمبوتس هيفن) ..، كانت تعلم جيدًا أن الشرطة وجدت سيارة (بول) ما داموا يبحثون عنه فى هذا المكان بالذات .. وما دامت معهم صورته ..

أصغ إليها يا (بول) وتعلم .. إنها تلعب لعبة (هل تستطيع ؟) فى الحياة الواقعية ، لهذا لا تكتب (آنى) قصصًا .. لأنها لا تحتاج إليها ..

كانت (آنى) تعرف أن رجال الشرطة آتون لامحالة بحثًا عن زميلهم المفقود .. لكنهم ـ على الأقل ـ لن يأتوا هذه الليلة ، فقط سيتتبعون مسار سيارته .. ترى هل بدأت تفهم إلى أى حدّ اقتربت اللعبة من نهايتها ؟..

ـ « سيسألوننى عن الشرطى وسأقول لهم إنه مرّ بالمزرعة وسألنى عن صورتك ، فقلت له إننى لم أرك قط وقدمت له علبة من المشروبات الغازية وأنه شكرنى وانصرف ، ولسوف ألقى هذه العلبة بعيدًا عن المزرعة بعد أن أطبع بصمات يديه عليها .. فكرة رائعة .. أليس كذلك ؟ » .

والتمعت نظرة شيطان يحلم فى عينيها .. واستطردت :

ـ « سيكتفون بهذا الأثر مؤقتًا ويبحثون بعيدًا .. إلا أنهم بعد فترة سيرون من الحكمة أن يعودوا إلىّ ليبحثوا بدقة أكبر .. فأنا مخبولة تمامًا .. أليس كذلك ؟.. سيقررون وقتها أن يفتشوا البيت .. وعندئذ سيعرفون كل شىء .. كل شىء ... أعتقد أن هذا لن يتم قبل أسبوع لهذا لديك وقت كاف للكتابة يا (بول) لكنى أنصحك بأن تزيد سرعتك فى التأليف قليلًا ! » .

ابتسم (بول) فى مرارة :

ـ « أنا نفسى متشوق لمعرفة نهاية القصة ! » .

ـ « أحقًا لا تعرفها ؟ » .

ـ « بتاتًا .. لا أعرف تمامًا كيف ستنتهى قصتى وقصتك ، لكنى أجهل كل شىء عن نهاية قصة (ميزرى) ... سأكتب كلمة (النهاية) وعندئذ تكتبين أنت كلمة (النهاية) الخاصة بحياتى .. » .

ـ « على كل حال لقد أوشكت القصة على الانتهاء .. أليس كذلك ؟ » .

ـ « بلى .. أوشكت على الانتهاء ... » .

....

★ ★ ★

قبل أن تتركه طلب منها أن تحضر له ما تم كتابته و (بلوك نوت) ليتمكن من مواصلة الكتابة بخط اليد.. لكنها أبت ذلك ..

- « هذا يعنى أن أضىء لك مصدر ضوء وهذا ما لن أسمح به .. » .

وعلى الفور رأى (بول) نفسه وحيدًا فى الظلام الدامس بينما الفئران تدنو منه وقد استشعرت عجزه .. شعر بجلده يغدو خشنًا كجلد الإوزة من الرعب ..

- « (آنى) .. أتوسل إليك .. لا تتركينى فى الظلام » .

- « لن أجرؤ على ذلك .. فلو أن أحدًا رأى الضوء آتيًا من البدروم لجاء يستقصى .. ولا أستطيع أن أعطيك بطارية تحاول إرسال إشارات بها .. كما أن الشموع قد تغريك بحرق المنزل .. حاول أن تتماسك وتذكر أنك السبب فى كل هذا .. » .

- « الفئران .. (آنى) !.. الفئران » .

قال وقد وصلت لأعلى درجات السلم :

- « ربما حسبتك الفئران واحدًا منها .. وربما تبنتك !.. هى هى هى ! » .

سمع صوت أزرار الكهرباء تُطفأ .. سمع صوت ضحكها .. رأى الظلال تزحف نحوه .. سمع صوت الباب

ينغلق .. أقفال .. مزاليج .. صوت ضحكها ما زال يتردد من خلف الباب حيث ما زال هناك ضوء .. باب آخر ينغلق ..

وحتى حين سمع صوت السيارة يتحرك كان بوسعه أن يسمع صوت ضحكاتها .. تتردد .. تتردد ..

★ ★ ★

الظلام الدامس ...

والصوت الذى يخشاه .. صوت الفئران المتسللة الخفيض ..

لكن الفئران لم تكن سبب ذعره .. بل رجل الشرطة !.. ها هو ذا خيال (بول) المريض يرسم له صورة شبح الشرطى وهو ينهض من الجرن والقش يتبعثر من حوله .. وعلى وجهه الميت آثار دماء .. ها هو ذا يراه يزحف متجهًا نحو البدروم المظلم حيث يرقد (بول) .. يدخل بشكل ما ويدنو منه وفى عينيه اتهام صامت : أنت قتلتنى .. أنت ناديت وقتلتنى ..!

إنه يحس بأنفاسه تصفع وجهه وأصابعه المتقلصة تلمسه ..

على أنه - حين اعتادت عيناه الظلام - بدأ يميز حدود الموجودات .. وبدأ يهدأ قليلًا ....

ستكون ليلة طويلة حقًا ..

★ ★ ★

بعد ساعتين مدّ يده إلى المحقن وغرسه فى فخذه .. لقد قالت (آنى) إن هذا (سكوبولامين) .. من يدرى ؟.. ربّما كان سمًا زعافًا .. لكنه حقًا لا يعبأ بالنتائج .. كل ما يدريه هو أن فخذيه يتألمان وحوضه ينن ..

لم يكن قد أعطى حقنة فى حياته .. لكنه فعلها بنجاح تام .. وغرق فى نعاس عميق ..

★ ★ ★

عادت (آنى) فى الثالثة بعد الظهر منهمكة ميالة للصمت ، وكان شعرها حول رأسها مسطحًا وقد اتخذ شكل الخوذة التى كانت ترتديها فى أثناء ركوب الدراجة ..

ـ « كيف كانت الأمور ؟ » .

« لا بأس .. لا بأس ؟ » .

ثم أدارت ظهرها ليتعلق بـ [illegible] كى تعيده لغرفته .. وسارت صاعدة درجات السلم ولم تنس قبل الصعود أن تلقى نظرة أخيرة على محتويات البدروم لترى أية تغيرات ..

لحسن الحظ لم تلحظ شيئًا ..

لم تلحظ علبة سائل إشعال الموقد التى سرقها (بول) ودسّها فى سروال منامته لغرض فى نفسه .. غرض بدأ يتبلور فى ساعات الفجر الأولى حين رأى العلبة جوار المرتبة التى نام عليها ..

وحين رقد فى فراشه أخيـرًا طلب منهـا بعض (النوفريل) فما إن خرجت من الغرفة حتى أخفى العلبة تحت المرتبة .. كان يعرف أن هذا المكان صار مفضوحًا تمامًا ، لكنه لم يجد أفضل منه فى الوقت الحالى ، وحتى يجد مكانًا أكثر أمنًا ..

عادت له بالـ (نوفريل) و (بلوك نوت) وبعض أقلام الرصاص ، وقالت له إنها ستغفو بعض الوقت ويمكنه أن يكتب قليلًا فى قصته مستعملًا القلم والورق لأن الوقت قد صار قصيرًا !

قال لها مطمئنًا :

ـ « أعتقد أننى سأنهى القصة فى خلال أسبوع .. ولكن أريد منك وعدًا .. » .

ـ « ماذا ؟ » .

ـ « لا تقرئى ما أكتبه من الآن فصاعدًا وحتى أنتهى .. لا أريد للمتعة أن تتجزأ .. » .

ـ « ستكون قصة جيدة يا (بول) .. أليس كذلك ؟ » .

ـ « ستكون تحفة فنية ! » .

★ ★ ★

بعد ثلاث ساعات تحرك (بول) على مقعده إلى ركن الغرفة .. وبرفق مدّ يده إلى لوح من خشب الأرضية كان قد لاحظ أنه مخلوع .. الفئران والرطوبة شكلت تحته حفرة لا بأس بعمقها وهو واثق من أنها لا تعرف بوجودها .. الغبار يدّل على أن أحدًا لم يلمسها قبله ..

دسّ علبة سائل الإشعال فى الحفرة وأعاد اللوح الخشبى لموضعه .. وللحظة ارتجف من فكرة أن يظل اللوح مرتفعًا قليلًا خاصة وأن الشيطانة تملك عينين حادتين كعينى الصقر، لكن اللوح عاد كما كان ....

ثم إن (بول) انتحى بالمقعد جانبًا وعكف على الكتابة .. أربع ساعات كاملة استهلك فيها الرءوس المدببة لخمسة أقلام رصاص أعطتها له ..

وعندئذ عاد إلى الفراش .. ونام ...

★ ★ ★

توقف القلم عن الكتابة حين سمع (بول) صوت سيارة تتوقف فى الفناء .. من الغريب أنه لم يشعر سوى بضيق لهذه المقاطعة .. وسمع صوت حذاء (أنى) الثقيل يقترب من الغرفة .. وفى صرامة قالت له :

ـ « ابتعد عن النافذة ... » .

كانت تحمل الحقيبة على كتفها وكان يعرف معنى هذا .. إن المسدس معدّ لتفرغه فى الزائر ثم فى (بول) ثم فى

نفسها لو أن (بول) أحدث شغبًا .. لهذا ابتعد عن النافذة دونما تفكير، قالت في هدوء صارم :

- « إنهم رجال الشرطة .. فهل ستكون عاقلًا يا (بول) ؟!» .

- « نعم ... » .

« سأحاول أن أثق بك » .

وتركته لتقابل القادمين .. ومن النافذة رأى (بول) السيارة (البلايموث) تقف في الفناء ويخرج سائقها ليقف في نفس الموضع الذي وقف فيه الشرطي أول أمس قبل أن يموت .. كان شابًا حديث السن لا تبدو عليه المبالاة . أما زميله فكان عملاقًا مفتول العضلات في الأربعين من عمره ، ولقد وقفا يستجوبان (آني) في حين فكر (بول) في احتمالات أن يهشم الزجاج ويصرخ هذه المرة .. هناك فرصة ثمانية لعشرة في أنهما سيتمكنان منها .. لكنها سريعة الحركة بالإضافة إلى أنها تتوقع الغدر ، أما هما فسيضيعان وقتًا ثمينًا في فهم ما يحدث .. وهذه نقطة لصالحها ..

ربما كان من الأفضل أن يهتم بـ (آني) بنفسه .. فالبوليس سيكتفي بوضعها في السجن .. لكن (بول) كان يملك لها خططًا أفضل ..

كان يعرف كيف يؤذيها ....

★ ★ ★

٨ ـ الانتقـــام ..

سمع (بول) صوت باب المطبخ ينفتح إذ دخلت (آنى) والشرطيان .. وفهم (بول) من المحادثة أن الشرطى المختفى اسمه (دوين كوشنر) .. وأنه كان يبحث عن كاتب يدعى (بول شيلدون) تم العثور على سيارته عندما ذاب الجليد، لكن الشرطة ـ كما هو واضح ـ لم تربط بين اختفاء رجلها وبين اختفاء (بول) علـى أساس أن (كوشنـر) ـ لابد ـ سقـط فى شرك بعض مهربـى المخدرات ..

كانت تحكى للشرطيين قصتها الملفقة عن الشرطى الذى جاء ليسألها عن صورة كاتب يدعى (بول شيلدون) .. وكيف لم يمكث سوى خمس دقائق قبل أن ينصرف حاملًا علبة المياه الغازية التى قدمتها له ..

كان (بول) يتوقع فى أية لحظة أن يسألها أحد الشرطيين عما تحويه الحقيبة التى تحملها بحق السماء .. وعندئذ سيتعالى صوت طلقات الرصاص ..

كيف لو علم هؤلاء أن الكاتب الذى يبحثون عنه ينتظر على كرسيه المتحرك فى محبسه على بعد يقل عن ثلاثين قدمًا ..؟

تعالى صوت أحد الشرطيين ـ الضخم بالتأكيد ـ يسأل .

ـ « ماذا هناك بالضبط ..؟ » .

دوى صوت (آنى) الرزين يجيب :

ـ « لا شىء .. غرفة نوم إضافية جوارها حمام .. لا أستعملها عادة .. يمكنكما أن تلقيا نظرة إذا أردتما لكن دعنى أؤكد لك أنك لن تجد جثة شرطى بالداخل ! » .

ـ « بالطبع يا سيـ... يا آنستى .. شكرًا لتعاونك وربّما عدنا مرة أخرى .. » .

★ ★ ★

واصل (بول) الكتابة فى تركيز حقيقى .. لكنه لم يستطع نسيان أن الشرطيين نظرا نظرة ذات معنى إلى بعضهما قبل ركوب السيارة .. حتى من مكمنه لم تفته هذه النظرة ..

وفى اليوم التالى فوجئ بسيارة تابعة لأخبار التليفزيون تثب منها مذيعة حسناء تريد أن تجرى حوارًا مع (آنى) !.. لكن (آنى) خرجت لهم بالبندقية وأجبرتهم على الفرار ..

لقد عادوا ..!

لقد بدأت الإشاعات فى الجوار أن الشرطى المختفى كان قد مرّ على دار المرأة (التنين) ، وها هم أولاء يحاصرون دارها .. ويطاردونها .. الذين هربت منهم فى الماضى قد عادوا ..

وبعد يومين جاء مزيد من رجال الشرطة ليسمعوا القصة من جديد .. ولكن أحدهم ذكرها فى هذه المرة أن بوسعها استدعاء محام إذا أرادت .. لكن (آنى) رفضت وأعادت سرد قصتها بثبات .. ولم تبدُ لـ (بول) أن هناك اختلافات عن المرة السابقة ..

بعد انصرافهم جاءت (آنى) لحجرته ..

كانت هناك خدوش دامية على جبينها فأدرك ـ دون جهد ـ أنها آذت نفسها مرة أخرى ..

قال (بول) محاولًا إفساد الدعابة :

ـ « هذا البيت قد تحول إلى حديقة ملاه .. » .

لم تبتسم .. فقط سألت فى صرامة :

ـ « كم بقى لك من وقت ؟ » .

نظر إلى كومة الأوراق أمامه .. ثم غمغم :

ـ « يومان .. ربّما ثلاثة .. » .

ـ « حين يجيئون المرة القادمة سيكون معهم أمر التفتيش .. وأنت تعلم معنى ذلك .. » .

ودون أن تنتظر ردًا فارقت الحجرة ..

★ ★ ★

جاءته فى المساء لتراقبه منهمكًا فى الكتابة .. ثمة (كاللو) صغير بدأ يتكون فى أصبعه الأوسط من جراء الإمساك بالقلم ..

- « ألن تنام ؟ » .

- « نعم .. بعد قليل .. أحيانًا ينبغى أن أواصل الكتابة حتى لا أفقد التسلسل » .

- « ولن تأخذ حبوبك ؟ » .

- « أشعر بألم لكنى لا أريدها أن تعتم أفكارى .. » .

همست بنعومة :

- « (بول) .. ستكون القصة جيدة .. أليس كذلك ؟.. أنت لم تعد تكتب من أجلى بل لمتعتك الخاصة .. أليس كذلك ..؟ » .

بالفعل لم يكن لك يا (آنى) .. ولا لزوجتىَ السابقتين .. ولا للجمهورى .. بل لى أنا .. لهذا السبب يهدى الكاتب كتابه لشخص ما .. لأن أنانيته تفزعه هو نفسه ..

★ ★ ★

فى اليوم التالى مرت سيارات عديدة .. سيارة كانت تحوى مراهقين أخذوا يهللون ويتصايحون فخرجت لهم (آنى) متوعدة بأن تطلق عليهم الرصاص - كالكلاب - ما لم يرحلوا فورًا ....

فصاح أحدهم :

ـ « اذهبى للجحيم أيتها المرأة التنين ! » .

ـ أين أخفيت جثة الشرطى ؟! » .

وولّوا الأدبار وسط سحابة من الغبار ...

فى المساء أحضرت لـ (بول) مضادًا حيويًا (لأنه كان قد بدأ يعانى التهاب مثانة شديد) ومعه دلو ملىء بالثلج كى يدفن فيه يده التى تورّمت من الكتابة .. ثم نام ..

كان يحلم .. يحلم بأنه ضائع فى عاصفة من الجليد .. فقط لم يكن ما يراه جليدًا بل مجموعة من الأوراق .. أوراق خالية من حروف النون والتاء .. وكان ضائعًا .. ضائعًا ..

كان هذا هو اليوم الأخير .. لقد أخبر (آنى) بذلك ..

★ ★ ★

صحا من النوم فى الحادية عشرة صباحًا ففوجئ بـ (آنى) تهرع نحوه حاملة عصير البرتقال والدواء وسلطانية ملأى بحساء الدجاج .. وفى انفعال هتفت :

ـ « اليوم يوم خاص جدًا .. أليس كذلك يا (بول) ؟ » .

حاول التقاط الملعقة لكن يده اليمنى كانت متصلبة متخشبة وكأن قضبانًا معدنية قد ثبتتها فى وضع لا يتغير .. لقد كانت أيامه الأخيرة نوعًا من تعذيب محاكم التفتيش ..

وهكذا لم يعُد أمامه خيار سوى العودة للآلة الكاتبة من جديد شاقًا طريقه وسط غابة من حروف (النون) و (التاء) ..

التمعت الدموع في عينيها .. وبصدق همست :

- « كان يجب أن أبتاع لك آلة جديدة .. لكنى لم أرد أن أعترف لنفسى أن هذه المرأة (دارتمونجر) قد استطاعت خداعى .. » .

وفى رقة أمسكت يده ولمثت أطراف أناملها ..

- « لقد أعددت لك مفاجأة لهذه الليلة .. لا أدرى حقًا إذا كنت تحبها لأنى لا أملك خبرة فى هذه الأمور .. لقد ابتعت لك علبة (كافيار) ! » .

كاد (بول) ينفجر ضحكًا برغم علمه أن الضحك سيجعلها تحسبه يسخر منها .. فالكافيار لم يكن من الأشياء التى يحبها أو يمقتها .. فقط حين يركب طائرة وتقدم له المضيفة طبقًا منه يأكله ثم ينسى كل شىء عن وجود (كافيار) فى العالم إلى أن يركب الطائرة مرة أخرى وتقدم له المضيفة طبقًا آخر ، إن (آنى) قد سجنتك وعذبتك وستقتلك حتمًا .. لكنك على الأقل ستموت بمعدة مليئة بالكافيار ..!..

قال لها وقد تمالك نفسه :

ـ « لى مطلب آخر أرجو أن تحققيه يا (آنى) .. » .
ـ « ما هو ؟ » .
ـ « كانت هناك علبة سجائر فى حاجياتى، وإننى أرغب فى لفافة تبغ بعد أن أنتهى من القصة ! » .
تلاشت ابتسامتها وهتفت :
ـ « (بول) .. أنا لا أوافق على هذه الأشياء .. إنها تسبب السرطان ! » .
ـ « (آنى) .. هل حقًا تعتقدين أن السرطان من الأمراض التى يجب أن أخافها وأنت ستقتليننى هذا المساء ؟! » .
لم تجب .. فأردف :
ـ « لقد اعتدت دائمًا حين أنهى قصة أن أدخن واحدةً .. وهى عادة أحبها وتربطنى بالماضى .. فما قولك ؟ » .
وافقت على مضض وتركت الحجرة ..

★ ★ ★

أخيرًا .. انتهت القصة !..
بيد مرتجفة خط (بول) أجمل وأسوأ كلمة فى قاموس الكُتّاب (النهاية) عند نهاية الصفحة الأخيرة .. ووضع القلم جانبًا بينما ذلك الشعور الذى يلازمه كلما أنهى قصة يراوده .. شعور بالخواء .. شعور بانعدام الحيلة .. لكنه ـ مهما قلنا ـ شعور جميل ..

دائمًا هو شعور جميل ..

أن تنتج .. أن توجد شيئًا لم يكن ..

مدّ يده وكوّم الأوراق .. ثم التقط لفافة التبغ التى أحضرتها له .. وجوارها كانت مطفأة السجائر التى هشم بها الزجاج ليلتها .. ، ثم مشط ثقاب لا يوجد به سوى عود واحد .. العود الوحيد الذى سمحت به لكنه كاف جدًا ..

كان يسمع صوت خطواتها فى الطابق العلوى لأنها لم تشأ أن تجىء حتى ينتهى من التدخين ولأنها لا تتحمل رائحة التبغ ..

جميل ..! .. يستطيع أن يعد كل شىء للعبته الكبرى قبل مجيئها ..

* * *

ناداها .. سمع خطواتها تهبط درجات السلم ..

كان قد سكب الكثير من سائل إشعال الموقد على الأرض فملأت رائحته الحجرة .. ، كومة الأوراق التى كتب القصة عليها غارقة فى السائل إلى جوار الآلة الكاتبة المقيتة ..

سمع خطواتها تقترب .. فهمس لنفسه : إننى أسمع هذه الأصوات للمرة الأخيرة .. يا له من خاطر بهيج ! .. لم يكن قد أشعل لفافة التبغ طبعًا .. كان يريد عود الثقاب فحسب ..

ماذا ستفعل لو لم يشتعل العود ؟.. لقد فات الوقت للتفكير فى هذا ..

شريك !.. لم يشتعل ..!.. حاول ثانية بهدوء ..

شريك !.. لا جدوى .. خطواتها تقترب أكثر ..

شريك !.. أخيرًا !.. اللهب الأصفر الجميل يتزايد حول رأس العود .. وهنا دخلت (آنى) الغرفة ..

★ ★ ★

ـ « أخيرًا .. لا أصدق ذلك .. لكم كنت أتـ .. » .

كذا هتفت (آنى) فى سعادة ثم احتبس الكلام فى حلقها حين رأت (بول) على مقعده وأمامه كومة من الأوراق مكتوبًا على أول واحدة منها :

عودة (ميزرى)

بقلم بول شيلدون

وجوار الأوراق كان يمسك بعود الثقاب المشتعل !..

تصلبت فى وقفتها .. وفغرت فاها فى غباء :

ـ « (بول) .. ماذا تفعل ؟ » .

ـ « لقد انتهت القصة يا (آنى) .. إنها جيدة .. ربما أفضل ما كتبت فى حياتى .. والآن سأقوم بلعبة صغيرة تعلمتها منك ! » .

مدّت يديها فى لهفة نحوه وصرخت :
- « لا .. لا !.. لا تفعل ! » .
ابتسم فى ثقة .. أول ابتسامة من نوعها منذ شهور ..
- « من المؤسف أنك لن تقرئيها .. لقد كانت تحفة ! » .
وهنا أوشك الثقاب أن يحرق أنامله فألقاه على الورق ..
وللحظة خيل إليه أنه إنطفأ .. ثم بدأت نار زرقاء شاحبة تشتعل فى الورقة الأولى .. ثم .. فومب !.. اشتعل السائل بلون أصفر محدثًا فرقعة ..
- « لا يا إلهـــى !.. ليست (ميـــزرى) !.. ليست (ميزرى) ! » .
« أسرعى وتمنى أمنية أيتها الشيطانة !.. » .
ومدّت يدين عاجزتين إلى الأوراق الملتهبة ..
كان السائل قد تسرب إلى الآلة الكاتبة فبدأ اللهب ينبثق من بين المفاتيح .. والحرارة تشوى جانب وجه (بول) .. بينما (آنى) تصرخ فى هستيريا :
- « أيها القأر (المقرف) !.. يا طائر الشؤم ..!.. ليس (ميزرى) ! » .
وهنا فعلت الشىء الذى كان واثقًا من أنها ستفعله ..
حملت الأوراق المشتعلة راكضة نحو الحمام لتضعها فى الحوض على أمل أن تنقذ شيئًا ..

فما إن أدارت ظهرها حتى رفع (بول) الآلة الكاتبة غير عابئ بسخونتها التى بدأت تحرق يديه .. رفعها غير عابئ بقطرات السائل الملتهب التى تسقط عليه ..

وبوجه كأنما قُدّ من صخر .. قذف الآلة الكاتبة على المرأة لتصدمها فى ظهرها ..

ـ « أوووووج ! » .

أنت (آنى) وسقطت على الأرض على وجهها ومن تحتها كومة الأوراق المحترقة فتحامل (بول) على نفسه ونهض متوكئًا نحوها ..

كانت قد بدأت تستدير لتنهض والنيران بعد مشتعلة فى ثيابها :

ـ « لسوف أقتلك أيها الكاذب ! » .

قالتها .. إلا أن (بول) رمى بنفسه عليها فوق الآلة الكاتبة المحترقة .. سمعها تصرخ كقط وتتلوى كقط فلم تأخذه بها أية شفقة ..

كانت تسبّ وتلعن لكنه واصل تثبيت جسدها بين النيران ..

ـ « هو ذا الكتاب يا (آنى) !.. إنه تحفة !.. كُليه يا (آنى) .. كليه ! » كانت تصدر أصواتًا مختلطة وحاولت أن تلقيه من فوقها لكنها فشلت ..

ـ « مف !.. مف ! » .



وبوجه كأنما قُدّ من صخر .. قذف الآلة الكاتبة على المرآة لتصدمها فى ظهرها ..

وأخيرًا استطاعت أن تنهض من تحته .. تحاملت على قدميها ودنت منه خطوة .. اثنتين .. ثم سقطت ثانية فوق الآلة الكاتبة .. كانت عيناها ترمقانه بتعبير متسائل مريع .. لماذا يا (بول) ؟.. لماذا ؟.. كنت سأقدم لك الكافيار ..!

وساد الصمت .....

★ ★ ★

تشبث (بول) بملاءة السريركى يستطيع النهوض ..

الغرفة مليئة بالأوراق المحترقة التى ولى حماسها .. الرماد والدخان فى كل مكان .. وقد آذى (بول) ظهره وأحرق كفيه .. وفى أمعائه شعر بتقلص مريع .. لكنه حرّ .. حرّ ..

لقد ماتت الشيطانة .. مات الصنم ..

تناول البطانية وبدأ يلقيها على الأوراق المشتعلة المبعثرة فى أرجاء الغرفة وهو يلهث ..

ثم بدأ يزحف متجهًا نحو المقعد المتحرك ..

وهنا فتحت (آنى) عينيها ..

★ ★ ★

راقبها (بول) غير مصدق ، بينما هى تنهض على ركبتيها ببطء .. مستحيل هذا !.. أنت ميتة !..

عيناها تحدقان فى عينيه ووجهها ملطخ بالدماء وفى عصبية صرخت :

ـ « دورد !.. أذر ! » .

قالتها وهى تبصق الورق المحترق من فيها وتزحف نحوه على أربع ..

تراجع (بول) وبدأ يزحف نحو الباب .. يزحف .. وفجأة شعر بيدها تطبق على ساقه أو ما تبقى منها .. وسمعها تهتف فى انتصار :

- « قذر !! » .

انتزع قدمه منها بأعنف ما يستطيع .. وعاد يزحف .. ويبكى .. والعرق ينهمر على خديه .. من خلفه يسمع صوت ركبتها تتقدم نحوه خطوة .. فأخرى .. خطوة .. فأخرى .. كانت آتية !.. لقد هشم ظهرها وأحرقها وأسقطها أرضًا لكنها - بعد كل ذلك - ما زالت آتية !.. آتية !..

أحس بها تمسك بسمانة ساقه اليسرى ..

مدّ يده متشبثًا بجانب الباب وحاول أن يجذب جسده ... الآن يدها اليمنى تمسك بفخذه بقوة ..

إنها فوقه .. ظلها يغمره .. الرعد .. البرق .. الصنم ..

- « قذر !.. أذِر ! » .

يداها حول عنقه .. وفى أعماقه صرخ : ألن تموتى أبدًا ؟.. ألن تموتى ؟

وفجأة تلاشى الضغط .. وشعر بها تجثم فوق أنفاسه دون حركة .. كجبل من اللحم المتراخى .. لقد همد جسدها أخيرًا .. وبآخر ما يملك من همة شق طريقه من تحتها

وزحف للباب متوقعًا فى أية لحظة أن تطبق يداها على ساقه .. لكنها كانت قد ماتت .. بالتأكيد ماتت .. وعلى الباب فقد وعيه بضع ثوان ..

لكنه حين فتح عينيه وجد أصابعها تتحرك تلقائيًا عابثة في أطراف قميصه .. أجفل وتراجع بعيدًا .. فاهتزت الأصابع قليلًا ثم سكنت ..

بدأ يزحف نحو الحمام .. وأغلق الباب خلفه حتى لا يرى أصابعها تمتدّ تحت الباب نحوه ..، فما إن دخل الحمام حتى كان كل جزء من جسده يعوى ألمًا، أغلق الباب خلفه وزحف إلى حيث علب الـ (نوفريل) فابتلع ثلاث كبسولات دون ماء، ثم ألقى بثقله على الباب وغاب عن الوعى..

★ ★ ★

إنه الظلام ....

لم يدر فى البداية أين هو .. ثم تذكر كل شىء، ومع تذكره أدرك حقيقة مؤكدة: أنها لم تمت .. بالتأكيد لم تمت ..

لاشك أنها تنتظره خارج الباب حاملة فأسها .. إنه يكاد يسمع صوت تنورتها تحتك بالجدار المجاور للحمام .. كلًا ..!.. هذا مجرد وهم تتخيله .. أنت تعرف أنها ماتت أخيرًا .. ولكننى سمعت صوتًا ...

اهدأ يا (بول) يا صديقى .. ليس من الحكمة أن تجنّ

لأن هذا سيكون نصرًا لـ (آنى).. لماذا لا تغادر الحمام الآن ؟..كلّا .. سأظل هنا حيث الأمان ..

لكنك يجب أن تغادر هذا المنزل الرهيب .. يجب أن توقف سيارة على الطريق ولن يطول انتظارك لأن منزل (آنى) صار محط الأنظار ..

استجمع شجاعته .. وتسلق لمقبض الباب وفتحه ببطء ..

لم يكن هناك سوى الظلام .. بدأ يزحف متجهًا نحو الصالة ، ولم يفته أن يلقى نظرة على الغرفة التى كان بها فوجدها مغلقة كما تركها ..

الظلال فى كل مكان .. يمكنها أن تتوارى خلف أى ظل منها .. يمكنها أن تكون أى ظل منها .. وفى كل الأحوال يمكنها أن تحمل الفأس ..

استمر فى الزحف ..

كانت (آنى) خلف الأريكة تنتظره .. بل كانت واقفة خلف باب المطبخ .. بل هى تزحف على ركبتيها خلفه ..

وهنا سمع صوت سيارة تتوقف فى الفناء الخلفى .. ورأى أضواءها من النافذة .. وفى الظلام تردد صوت يسعل .. رأى معالمه من النافذة بوضوح تام .. هذه القبعة لا تعنى سوى شىء واحد .. هذا شرطى ..!

مد يده وتناول تمثالًا لبطريق وجده أمامه .. وعلى قاعدة التمثال كتبت عبارة (توته توته .. فرغت الحدوتة) ..

همس (بول) لنفسه :

ـ « وكذلك حدوتتى أنا .. حمدًا لله .. » .
وألقى التمثال ليهشم زجاج النافذة .. وصرخ بأعنف ما يستطيع :
ـ « الغوث !.. الغوث !.. أنا هنا ! » .

★ ★ ★

كان هذان هما الشرطيان اللذان جاءا (لآنى) من قبل .. الشرطى النحيل وزميله الضخم ، وكان معهما إذن تفتيش هذه المرة ..
وحين هشما باب المنزل استجابة للصرخات وجدا رجلًا كأنه خارج من كابوس .. رجلًا يصعب عليهما تصديق أنه حىّ ..
كان يرتجف كورقة ويردد :
ـ « صنم الـ (بوركاس) .. احترسا .. غرفة النوم حيث احتجزتنى .. كاتب أليف كما تعلمان .. غرفة النوم .. » .
وهنا هتف أحدهما :
ـ « هل ترى ؟.. إنه الشخص الذى كان (كوشنر) يبحث عنه .. الكاتب .. قد نسيت اسمه لكنه هو ..! » .
صاح (بول) فى هلع :
ـ « احترسا ..!.. إنها خطرة كالحية ذات الأجراس .. ولو أنها حية فلسوف ..
انظرا .... لقد قطعت رجلى بالفاس ! » .

نظر الرجلان إلى قدمه لثوان .. ثم همس الشرطى النحيل :

- « يا للسماء ! » .

ومدّ يده إلى حزامه مخرجًا مسدسًا وأشار لزميله أن يتبعه .. سويًا اتجها نحو غرفة النوم التى كان (بول) بها ... أغلق (بول) عينيه منتظرًا سماع صوت طلقات .. أو سماع صراخها أو صراخهما ، كأنما مرّ دهر عليه فى هذا الوضع ..

ثم سمع صوت خطوات أحد الشرطيين عائدًا إليه .. وسمع صوته الرزين يقول :

- « هناك دماء وورق محترق .. لكن لا أحد فى الغرفة .. » .

نظر له (بول) .. ثم بدأ يصرخ ..

يصرخ ....

حتى فقد الوعى ..



الخاتمة

لمدة تسعة شهور بعد ذلك اليوم ظلّ (بول) يتردّد ما بين عيادات الأطباء والمستشفيات لإصلاح ما حدث لذاته من خلل ..

أعادوا كسر ساقه وتجبيسها، ووضعوا ساقًا صناعية لرجله المبتورة .. وأخبروه أنه سيعرج بقية حياته .. لكنه لن يموت ..

وكان قد نشر قصته (عودة ميزرى) مصحوبة بدعاية هائلة عن الظروف الشاذة التى كتبت فيها، فكان نجاحها ساحقًا ولا غرابة فى هذا(★).

لم يعبأ كثيرًا بحماس الناشر ولا برقم المبيعات .. كان يصبو إلى الكتاب التالى .. لكن الأيام الجافة صارت أسابيع جافة فشهورًا جافة حتى أنه بدأ يتساءل عما إذا كان هناك حقًا كتاب تال ..

كان الناشر يحثه على كتابة قصته مع (آنى) .. لكنه لم يجرؤ .. أحس أنه لو فعل هذا لمارس نوعًا شنيعًا من أكل لحوم البشر .. لحمه هو بالذات .. أحزانه .. مخاوفه .. لا يسمح لها أن تتلوث بحبر المطبعة ..

(★) والشيء الذى لم تعرفه (آنى) هو أن قصة (عودة ميزرى) لم تحترق لأن (بول) لم يجرؤ على ذلك .. ما فعله هو أن حرق مجموعة من أوراق المسودات على رأسها صفحة العنوان ..

كانت (آنى) قد ماتت حقًا ..

وفيما بعد عرف (بول) أنها تحاملت على نفسها وخرجت من نافذة الحجرة ، بينما كان هو فاقد الوعى فى الحمام ، وذهبت إلى الجرن حيث ماتت .. ماتت بسبب كسر فى الجمجمة أصابها حين تعثرت على الأرض ..

لكنها كانت تملك له خططًا مستقبلية .. ليس بالفأس هذه المرة ..

كانت يد جثتها تمسك بالمنشار الكهربى الذى كانت تضعه فى الجرن ..!.. وكانت تنوى أن تقتحم به باب الحمام ..

لقد نامت (آنى) أخيرًا فى قبرها ، لكن ليس فى كوابيس (بول) الذى نبش قبرها مرارًا .. ورآها تخرج له مرارًا .. وأطارت بفأسها أغلب أطرافه مرارًا ..

★ ★ ★

وأمام شاشة الكمبيوتر جلس ..

أمام (منسق الكلمات) الذى اشتراه ... جلس عالمًا أنه سيظل يحدق فى الشاشة الخاوية عدة ساعات بينما يلتمع المؤشر مرارًا .. ثم يطفئ الجهاز وينام .. هكذا دأبه منذ انتهت تلك المأساة ..

ولكنه تذكر شيئًا ..

تذكر أنه رأى فى الشارع طفلًا يحمل قفصًا .. وكان بالقفص ظربان حىّ .. من أين جاء الظربان ؟ وكيف وضعه الطفل فى القفص ؟.. كلها أسئلة بلا إجابة ..

(بول) .. هل تستطيع ؟..

بالطبع .. أستطيع ..

بدأت يداه تلمسان الحروف ، والشاشة تمتلئ بالكتابة .. قصة جديدة عن طفل وجد ظربانًا وأصرّ على صيده ..

لقد استطعت يا (بول) .. استطعت ...!

لم يدر أن سرعة أصابعه تزداد ..

لم يدر أن الحاجز قد تهشم ..

لم يدر أن عينيه كانتا تدمعان بينما هو يكتب ..

★ ★ ★

وتوته توته ..

فرغت الحدوتة ..

ستيفن كينج

بانجور - مين - أكتوبر ١٩٨٦

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

الشيطانة



لا تخافوا من (آنى) .. صحيح أنها تهوى القتل .. صحيح أنها تعيش وحدها فى عالم مريع .. صحيح أنها مخبولة تمامًا .. صحيح أنها تمسك فأسًا وتتسلى بتمزيق وجهها .. لكنها إنسانة لطيفة .. تهوى القراءة ، وحين يقع كاتبها المفضل (بول شيلدون) أسيرًا فى قبضتها فإنها تحسن استقباله ..!

(ستيفن كينج) أشهر كُتاب الرعب المعاصرين يقدم لنا أروع أعماله .

العدد القادم

لقاءات من النوع الثالث

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥